وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة غرداية

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

التخصص: أدب عربي حديث و معاصر

بعنوان:

بنية الشخصية في رواية من قتل هذه الابتسامة؟ لليامين بن التومي

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة ماستر أكاديمي تخصص :أدب عربي حديث و معاصر

من إعداد الطالبة:

غريقة نصيرة

تحت إشراف الأستاذ:

د/سرقمة عاشور

لجنة المناقشة:

اسم الأستاذ و لقبه	الدرجة الأكاديمية	الصفة في اللجنة
–أ/رقاب كريمة	أستاذ مساعد أ	رئيسا
–د/مولاي لخضر بشير	أستاذ محاضر أ	مناقشا
–د/سرقمة عاشور	أستاذ محاضر أ	مشرفا

السنة الجامعية :1437–1438هـ/2016–2017 م.

الإهداء

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة "سيدنا محمد صل الله علية وسلم"

إلى من سار معي منذ بداية الطريق حتى هذه اللحظة وكان دافعاً لي لكل نجاح
إلى من بذل كل غالي ونفيس ليسعدني في هذه الحياة، إلى روح "والدي الحبيب"

رحمة الله عليه.

إلى روح القلب ونبض الحنان إلى بلسم الجراح إلى من صبرت وكافحت معي في هذه الحياة إلى أعظم إنسانه في حياتي "والدتي الغالية".

إلى جميع "إخوتي وأخواتي" الأعزاء كل واحد باسمه

إلى جميع "الصديقات" بقسم الأدب العربي.

إلى جميع "أساتذتي " من الإبتدائي وإلى الجامعي وإلى جميع الأساتذة في كلية الآداب واللغات ،قسم اللغة والأدب العربي.

إلى كل "طالب علم" نتمنى له النجاح.

أهدي هذا العمل المتواضع.

نصيرة

شكر وعرفان :

قال تعالى :" يا أيّها الذين آمنوا كلوا من طيّبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون" الآيه 172 من سورة البقرة.

يارب لك الحمد قبل أن ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضى،ولك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

ياأرحم الراحمين،أحمد الله عزّ وجل أن وفقني وأمدني بالقوة لإنجاز هذا العمل المتواضع.

أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المحترم "عاشور سرقمة" الذّي قدم لي يد المساعدة ولم يبخل علي بنصائحه وتوجيهاته القيّمة.

إلى من علمني حبّ لغة الضاد،إلى أساتذتي كافة.

إلى نور دربي أمي الحبيبة وأبي الغائب جسدا الحاضر روحا،أهدي لهما هذه الكلمات المرصعة بجمال الحرف العربي.

الملخص بالعربية:

إن العمل الروائي يتيح القدرة على التشخيص، بحيث تصبح الشخصية قادرة على التعبير عن مضمون فكري أو اجتماعي، فتشكيلها في العمل الروائي يرتبط بالضرورة بموقف المؤلف منها سواء بالسلب أو الإيجاب.

-تلعب الشخصية دورا مهما في العمل الروائي، فهي بمثابة القلب النابض في الرواية لأنّها تبعث فيها الحياة، فهي الحاملة للحدث والمنفعلة به وهي الكفيلة باستدعاء الزمان والمكان، والأهم من ذلك قدرتها على طرح نفسها أمام القارئ، بحيث لا يحس أنّها دمى يحركها الكاتب.

-لقد اشتغل بن تومي في روايته من قتل هذه الابتسامة؟ على عنصر الشخصية، وتعد شخصية "بوزيد"الساردة، هي الشخصية البطلة والفاعل الأساس لأنّه هو يمثل بؤرة الصراع وفي فلكه تدور بقية الشخصيات الأخرى لأنها تتقاطع معه، فنجد حضور مكثف لفئة الشخصيات المرجعية مع غياب الشخصيات المكررة.

-وقد ركز في بنائها على البعدين النفسي والاجتماعي لأنه حرص على تقديمها من الداخل أكثر من الخارج، كما أنه منحها أسماء أوحت ببعض صفاتها النفسية.

Résumé de mémoire

-Ie travail et dramatic et romontique donne la compétence à être capable de faire le diagnostique entre autre rende de personnage à mieux exprimer sur le contexte moral ou social, seulement pour la composer dans un travail romontique repose sur l'acte de l'éditeur ou bien négatif ou positif.

-Le personnage joue un grand rôle dans le travail romontique, il se considére comme le cœur dans le roman , parce qu'il repousse la vie, ainsi il est le porteur de l'événement et fait appel au temps et le lieu et le plus important, c'est que sa capacité à s'imposer sur lui-même devant le lécteur néanmoins ne sent pas que des simple poupées qui font bouger par l'écrivain.

Ben tomy a trvaillé dans son roman(qui a tué se sourire)

Un élément personnel «Bouzid» le narrateur l héroine et l' acteur principale parce que c'est l'épicentre du conflit et dans son orbite، le reste des autre personne tourne parce qu'ils se crois avec eux، on trouve une présence intensive de personnages reférentiels avec l'absence de personnages anaphores dans le roman.

Il a insisté sur le coté psycho-social parce qu'il a offert de l'intérieur que l'extéieur، ainsi il a donné des noms qui s'inspirent selaon des aspects et comportements sensorials-phsiques.

مقدمة :

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على نبيه المصطفى وبعد:

إنّ الخطاب الروائي، تحدد أبعاده الجمالية بتكاثف عناصره المختلفة، المتعددة المشارب المتنوعة الرؤى والتّي تبوح كلّها بأسراره. وتعتبر الشخصية أبرز وأهم عناصر البنية السردية؛ فهي بمثابة النقطة المركزية أو البؤرة الأساسية التّي يرتكز عليها العمل السردي وهي عموده الفقري.إذ لا نكاد نعثر على نص سردي يفتقر إلى الشخصيات تدير أحداثه أو تدور الأحداث حولها سواء في السرد القديم أو الحديث؛ حيث كانت ولازالت محل اهتمام الدراسات الأدبية.

وضرورة البحث عن الشخصية الروائية في البناء الروائي لا يتأتى من أن الشخصية هي مجرد عنصر من هذا البناء فحسب، بل تتأتى أيضا من قيمتها في التعبير الجمالي، فالوعي بطبيعتها يسعى إلى تملك العالم جماليتها في علاقتها بالعناصر الأخرى من خلال الفضاء الداخلي المرتبط ببنية الواقع.

فكان لها الوجود المميّز وخاصة بعدما توثقت صلتها بالأدب عموما وبالجنس الروائي خصوصا، إلى أن أصبحت عنصرا مهيمنا وأساسيا واكتملت بنيويا واستقلت عن الحدث في ق 19.

ومن بين الدوافع التيّ أدت بي إلى اختيار هذا الموضوع هو ميلي إلى الرواية، وحب الإطلاع فيها، وكذلك بعض الأثار العميقة التيّ تركتها بعض الروايات في نفسي، وكذلك محاولة الكشف عن هذا المكون السردي.

وقد اخترت رواية "من قتل هذه الابتسامة؟ " لليامين بن تومي، فحين طالعت الرواية شدّني عنصر الشخصية وتنوع الشخصيات فيها، فقد كانت من الوحدات الأساسية في البناء السردي للرواية.

وهذا ما دفعني إلى طرح العديد من التساؤلات حول هذا العنصر والمتمثلة في:

كيف اختار "بن تومي" شخصياته؟ وكيف رسم أبعاد شخصياته؟ ولعلّ السؤال الأكثر أهمية هو ماهي أهم المقومات التّي ارتكز عليها "بن تومي" في بناء شخصيات روايته "

من قتل هذه الابتسامة؟ وماهي دلالة الأسماء التّي تحملها شخصياته وهل لها علاقة بالشخصية؟ هل كان لشخصياته علاقة بباقي المكونات السردية الأخرى؟.

وقد اعتمدت في دراستي على أليات المنهج البنيوي لأنّه هو الأنسب للدراسة، وكذا المنهج الوصفي والتحليل اللّذان يعمدان إلى وصف الظاهرة وصفا دقيقا .

واقتضت الضرورة تقسيم موضوع الدراسة على النحو التالي:

مقدمة يليها مباشرة المبحث الأوّل والذّي يمثل الجانب النظري بعنوان: الشخصية الروائية وكيفية بنائها، وقد تطرقت فيه إلى تمهيد ثمّ مفهوم الشخصية فصلت فيه ما يتعلق بالنظرة القديمة للشخصية والنظرة الجديدة، أعقبته بالتحدث عن تصنيفات الشخصية الروائية من حيث الشخصيات التابعة للحدث والتقسيم الشكلي، ثمّ تطرقت إلى طرق تقديم الشخصية وعلاقتها بالمكونات السردية الأخرى.

أمّا المبحث الثاني فهو عبارة عن مقاربة تطبيقية لرواية " من قتل هذه الابتسامة؟" وقد احتوى على قراءة في عتبات نص الرواية ودلالة الاسم الشخصي ثم علاقة الشخصية بالمكونات السردية الأخرى وركّزت أكثر عل أصناف الشخصيات الروائية وأبعادها لأنّه العنصر الأكثر أهمية.

يعود الفضل الكبير في هذا العمل المتواضع إلى جملة من المصادر والمراجع التّي كانت السند الكبير بالنسبة لي ومن أهمّها: رواية من قتل هذه الابتسامة؟ لليامين بن تومي، بنية الشكل الروائي لحسن بحراوي، نظرية الرواية لعبد الملك مرتاض، بنية النص السردي لحميد الحميداني، نظرية البنائية لصلاح فضل...وغيرها.

ولطبيعة كل البحوث الأكاديمية فقد واجهتني العديد من الصعوبات ولعلّ أهمها :

اختلاف وتضارب الأراء حول مفهوم الشخصية وأهميتها في الرواية، إضافة لضيق الوقت وصعوبة جمع المادة العلمية.

وختاما أرفع الشكر إلى أستاذي المشرف الدكتور "عاشور سرقمة" على كل ماقدّمه لي من مساعدات وملاحظات بناءة.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من مدّ لي يد العون سواء من قريب أو بعيد.

وأرجوا أن تكون هذه الدراسة قد حققت بعض الفائدة في المجال العلمي والبحثي في دراسة الشخصيات أو في تحليل الرواية.

تمهيد:

تلعب الشخصيات دورا أساسيا في بناء الرواية، لأنّها المركز الذّي تدور حوله الأحداث، فالشخصيات من جهة أولى، وبغض النظر عن الاسم الذّي نسميها به: درامية، شخصية، عامل، تشكل مخططا ضروريا للوصف، ويمكننا أن نقول إنّه ليس ثمة قصة واحدة في العالم من غير شخصيات...[1]وهذا ماعبر عنه الناقد الفرنسي "رولان بارث".

لأنّ الشخصيات تدير الأحداث وتتحرك في الزمان وعلى المكان، وتشكّل بصراعاتها وتناقضاتها لبّ الرواية وعنصر التشويق والعقدة، وهي لحمة عناصر القصة، ومنشأ الترابط بينها، وتضطلع بوظائف متعددة، وتحمل معاني، كل هذا تؤديه في مستويات مختلفة وبطرائق متباينة...[2]

إنّ الأهمية القصوى التي يستوحيها هذا المكوّن الروائي، جعلت العديد من البحوث و الدراسات التّي عنِيت بتحليل الأعمال السردية، تركّز على تناول الشخصية وبنيتها في الخطاب السردي ويعزز ذلك رأي (تودوروف) بشأن أولويتها ومكانتها الرئيسية إذ يقول:«تبدو لنا الشخصية تلعب دورا من الدرجة الأولى وإنّه انطلاقا منها تنتظم العناصر الأخرى»...[3]

ولقد تباين الدارسون والمنظّرون في فهم الشخصية ودراستها، وهذا راجع إلى اختلاف الرؤى والمناهج التّي اعتمدوها، وإلى اختلاف الزوايا التّي نظروا منها، ولم تجمع المعاجم على تعريف واحد، وفي هذا دليل على تعدد المدلولات المستفادة من هذا الدال.[4]

---

[1]-عفاف عبد المعطي، السرد بين الرواية المصرية والأمريكية، دراسة في واقعية القاع، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2007م، ص: 297.

[2]- عالية محمود صالح، البناء السردي في روايات إلياس خوري، دار أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2005م، ص: 119.

[3]- نفلة حسن أحمد العزي، التحليل السيميائي للفن الروائي، دار الكتب والوثائق القومية، جامعة كركوك، دط، 2012م، ص: 37-38.

[4]-عالية محمود صالح، البناء السردي في روايات إلياس خوري، ص: 120.

لهذا ظل مفهوم الشخصية غفلا ولفترة طويلة من كل تحديد نظري أو اجرائي دقيق، ويفسر (تودوروف) هذا الاعراض عن دراسة الشخصية الروائية بكونها هي نفسها ذات طبيعة مطاطية، خاضعة لكثير من المقولات دون أن تستقر على واحد منها...[1]

ومن هنا نلاحظ أنّ الشخصية عنصر مهم في الرواية وعلى الكاتب أن يجيد رسم شخصياته من الداخل والخارج.

ولفهم معنى الشخصية وجب البحث عن أصل الكلمة وما تعنيه في أمّهات المعاجم.

أولا: مفهوم الشخصية.

الشخصية لغة : جاء في كتاب العين:

«شخص: الشخصُ سواد الإنسان إذا رأيته من بعيد، وكلّ شيء رأيت جسمانه فقد رأيت شخصهُ، والشخُوص: السير من بلد إلى بلد، وقد شخصَ يشخصُ شخوصاً وأشْخصته أنا، وشخص ببصره إلى السماء ارتفع».[2]

وجاء في لسان العرب: «شخصَ الشخصُ: جماعة شخص الإنسان وغيره مذكر والجمع أشخاص وشُخوص وشِخاص والأنثى شَخِيصة».[3]

أما الشخصية اصطلاحا:

ثمة كلمتان تتنزعان ترادف الشخصية (character)، (personal) هوالقناع أو الوجه المزيف، ومنه اشتق مصطلح (dramatic persona) وفيما بعد كلمة (person) الشخص الذّي يشير إلى فعل الأقنعة (masks) التّي كان يرتديها الممثل[4]

---

[1]–حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، الفضاء الزمن الشخصية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990م، ص: 207.

[2]–الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تر عبد الحميد هنداوي، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م، ص: 314.

[3]– ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، دط، دت ط، ص: 2211.

[4]– أحمد رحيم كريم الخفاجي، المصطلح السردي في النقد، الأدب العربي الحديث، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمّان، ط1، 2012م، ص: 374.

الإغريقي على وجهه، عند تمثيله لدور شخصية ما على المسرح ثم أخد هذا المصطلح (persona) يدل بعد ذلك على تعليقات مؤلف الرواية حول أحداث القصة...[1]

وأيا كان الشأن فإنّ المصطلح الذّي نستعمله نحن مقابلا للمصطلح الغربي (personnage) هو شخصية...[2]

كما أن التصور التقليدي للشخصية،كان يعتمد أساسا على الصفات، ممّا جعله يخلط كثيرا بين الشخصية الحكائية (personnage) والشخصية في الواقع العياني (person) وهذا ما جعل "ميشال زيرافا" يميّز بين الاثنين عندما اعتبر الشخصية الحكائية علامة فقط على الشخصية الحقيقية...[3]

بالإضافة إلى ذلك فإنّ الشخصية (personality) تمتاز إلى الجانب الوظيفي الأدوار(roles)، بينما تمتاز الشخصية (person) إلى الجانب المفهومي أي الحقيقي والواقعي (real).[4]

"يتضح ممّا سبق من عرض مفهوم الشخصية عند نقادنا هؤلاء أنّهم لم يستعملوا مصطلح (character)، بل استعملوا مكانه (personality) ليحمل معنى الشخصية المتخيلة من حيث دورها في النص وحيث صفاتها".[5]

ومنه نستطيع القول أنّ الشخصية: " بأنّها الكائن البشري مجسد بمعايير مختلفة أو أنّها الشخص المتخيل الذّي يقوم بالدور في تطور الحدث القصصي"[6]

---

[1]- أحمد رحيم كريم الخفاجي، المصطلح السردي في النقد، الأدب العربي الحديث، م.س، ص: 374.

[2]- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، دط، 1998م، ص: 75.

[3]- أحمد رحيم كريم الخفاجي، المصطلح السردي في النقد، ص: 379.

[4]- المرجع نفسه، ص: 383.

[5]- المرجع نفسه، ص: 384.

[6]- جميلة قيسمون، الشخصية في القصة، مجلة العلوم الإنسانية، العدد13، جوان 2000، ص:196.

فيما يذهب البعض إلى تعريفها : "بأن الشخصية هي مجموع الصفات التّي كانت محمولة للفاعل من خلال حكي ويمكن أن يكون هذا المجموع منظم وغير منظم".[1]

المفهوم البنيوي للشخصية:

الشخصية في الرواية أو الحكي عامة، لا ينظر إليها من وجهة نظر التحليل البنائي المعاصر إلاّ على أنّها بمثابة دليل (signe) له وجهان أحدهما دال (signifiat) والآخر مدلول (signifié)، وهي تتميز عن الدليل اللغوي اللساني من حيث أنّها ليست جاهزة سلفا، ولكنّها تحول إلى دليل فقط ساعة بنائها في النص، في حين أنّ الدليل اللغوي جاهز قبل، باستثناء الحالة التّي يكون فيها منزاحا عن معناه الأصلي،كما هو الشأن في الاستعمال البلاغي مثلا، وتكون الشخصية بمثابة دال من حيث أنّها تتخذ عدّة أسماء أو صفات تلخّص هويتها، أمّا الشخصية كمدلول فهي مجموع مايقال عنها بواسطة جمل متفرقة في النّص أو بواسطة تصريحاتها،و أقوالها وسلوكها وهكذا فإنّ صورتها لاتكتمل إلاّ عندما يكون النّص الحكائي قد بلغ نهايته.[2]

وفيما يلي سنعرج على النظرة التقليدية للشخصية والنظرة الجديدة لها.

أ–النظرة التقليدية للشخصية:

لقد خضعت التقاليد الأدبية المرتبطة بالشخصية إلى تحولات عميقة منذ فجر الدراسات الأدبية على يد (ARISTOT) وعبر الفترات التّي أعقبته من تاريخ الأدب بحيث أصبح من الصعب التعرف على مفهوم الشخصية في إطاره الدياكروني.[3]

---

[1]– تزفيطان تودوروف، مفاهيم سردية، تر عبد الرحمان مزيان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2005م، ص: 74.

[2]– حميد الحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991م، ص: 51.

[3]– ابراهيم عباس، تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية، دراسة في بنية الشكل،المؤسسة الوطنية للإتصال، الجزائر، دط، 2002م، ص: 149.

ولما كانت المأساة عند "أرسطو" هي أساس محاكاة لعمل ما، فقد كان من الضروري لها وجود شخصيات تقوم بذلك العمل وتكون منها صفات فارقة في الشخصية والفكر تنسجم مع طبيعة الأعمال التّي تنتسب إليها، وفي هذا التحديد الأرسطي تكون طبيعة الأحداث هي المتحكمة في رسم صورة الشخصية وإعطائها أبعادها الضرورية والمحتملة.[1]

وكان "أرسطو" يعتد بالأعمال في الشعر الدرامي ويضعها فوق الشخصيات، ويرى أنه قد توجد حكاية مسرحية دون شخصيات متميزة ولكن العكس غير ممكن.[2]

وهذا ففي الشعرية الأرسطية كانت الشخصية تعتبر ثانوية، بالقياس إلى باقي عناصر العمل التخييلي، أي خاضعة خضوع تام لمفهوم الحدث.[3]

وتطور الوضع فيما بعد باكتساب الشخصيات في الأدب كينونة خاصة وحقيقة نفسية مستقلة، وأصبح ينظر إليها على أنّها "أشخاص" توجد حتى من قبل أن يصورها الأدب، وجاء المسرح البرجوازي ليضفي عليها نوعا من التجريد، حتى اقتصرت على مجموعة من النماذج المألوفة مثل: الفتاة المحبوبة والأب النبيل والخادمة وغيرهم...[4]

و"لقد اهتم الكلاسيكيون بالشخصية اهتماما كبيرا، وكانوا حريصين على الدقة في تصوير شخصياتهم، وتميزوا بخلق نماذج بشرية خالدة، ولا أدلّ على ذلك من أن نرى معظم مسرحياتهم تحمل كعنوان لها أسماء أبطالها، حتّى اكتسبت تلك الشخصيات طابع النموذج البشري، وأصبح لها وجود مستقل، وكأنّها شخصيات تاريخية لا مجرد شخصيات روائية محبوسة داخل الأعمال الأدبية التي صورت فيها، أما الرومانسيون فلم يكن اهتمامهم بالشخصية أقل من الكلاسيكيين فنظروا إلى شخصياتهم التي خلقوها نظرة[5]

---

[1]- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، الفضاء الزمن الشخصية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990م، ص: 208.

[2]- صلاح فضل، نظرية البنائية، في النقد الأدبي الحديث، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1991م، ص: 285.

[3]- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص: 208.

[4]- صلاح فضل، نظرية البنائية، ص: 285.

[5]- علي عبد الرحمان فتاح، تقنيات بناء الشخصية في رواية ثرثرة فوق النيل، مجلة كلية الآداب واللغات، العدد 102، جامعة صلاح الدين، كلية اللغات، قسم اللغة العربية، ص: 47.

ملؤها الإعجاب والتقدير، ف"ولتر سكوت" كان ينظر إلى بطلاته نظرة إجلال وتقديس، قد تصل به أحيانا إلى حدّ العبادة وهذا شأن الكتاب الرومانطقيين"[1].

وتعامل الشخصية في الرواية التقليدية على أساس أنّها كائن حي له وجود فيزيقي، فتوصف ملامحها،وقامتها، وصورتها، وملابسها، وسحنتها، وسنها، وأهواؤها وهواجسها،وآمالها، وآلامها، وسعادتها، وشقاوتها...، فكأنّ الشخصية في الرواية التقليدية كانت هي كل شيء فيها، بحيث لا يمكن أن نتصور رواية دون طغيان شخصية مثيرة يقحمها الراوي فيها، ذلك بأنّه هو الذّي يسوق الحدث من الوراء نحو الأمام، على أساس أنّه يعرف كل شيء عن كل ما يريد أن يكتبه.[2]

ب- النظرة الجديدة للشخصية:

كانت وظيفة الشخصية الروائية لدى نقاد القرن التاسع عشر تتمثل في اختزال مميزات الطبقة الاجتماعية، وتصاعد قيمة الفرد في هذه الحقبة التاريخية ودوره الفاعل في حركة المجتمع.[3]

وقد ظل ذلك قائما إلى بداية القرن العشرين، بيد أنّ الرؤية إلى الشخصية تغيرت فأنشأ الروائيون يجنحون للحد من غلوائها والإضعاف من سلطانها في الأعمال الروائية، فلم تعد إلاّ مجرد كائن ورقي بسيط وذلك انطلاقا من نهاية الحرب العالمية الأولى، وبدأت الأفكار تتجه إلى دراستها وتحليلها في إطار دلالي، حيث تغتدي الشخصية مجرد عنصر شكلي وتقني للغة الروائية.[4]

ومع ظهور تباشير الفكر اللساني الذّي جاء به "دي سوسير" وما أحدثه من ثورة في مجالات الدراسات الأدبية، ومن بعده انتشار المد البنيوي الذّي كان يتوسل باللسانيات، تغيرت المفاهيم والأطروحات في مجال النقد المعاصر.

---

[1]- علي عبد الرحمان فتاح، تقنيات بناء الشخصية في رواية ثرثرة فوق النيل، م.س، ص: 47.

[2]- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، دط، 1998م، ص: 76.

[3]- ابراهيم عباس، تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية، دراسة في بنية الشكل، المؤسسة الوطنية للإتصال، الجزائر، دط، 2002م، ص: 149-150.

[4]- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص: 76.

فكان للمفاهيم النقدية الشكلانية السبق في انكار دور وعنصر الشخصية وبث الأفكار الأولى بضرورة إهماله، فلم يعد ضروريا لصياغة المتن الحكائي، وأسهمت دراسة بروب (مرفولوجيا الخرافة) في سحب البساط من الشخصية، بعدّها عنصرا متغيّرا فهي ليست أكثر من وسيلة لأداء الوظائف.[1]

قام بروب بدراسة مائة حكاية عجيبة روسية ووضع لها إحدى وثلاثين وظيفة، ورأى أن هذه الوظائف قابلة للتجميع في سبع دوائر محدودة، "وقام بتوزيعها على الشخصيات الأساسية في الحكاية العجيبة، وهي تنحصر في سبع شخصيات:

1-المعتدي أو الشرير (Agresseur/Méchant).

2- الواهب (Donateur).

3-المساعد (Auxiliaire).

4- الأميرة (Princesse).

5- الباعث (Mandateur).

6- البطل (Héros).

7- البطل الزائف (Faux héros)."[2]

فهذه الدوائر التي تمثل الفعل أو الوظيفة الشخصية تحمل قيما دلالية في مضمونها.

---

[1]- فوزية العيوس الجابري، التحليل البنيوي للرواية العربية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمّان، ط1، 2011م، ص: 308.

[2]- حميد الحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991م، ص: 25.

«وبعد عشرين قام "اتيان سوريو" وانطلاقا من المسرح باعداد نموذج عاملي يتكون من ست وحدات يسميها "وظائف درامية" وهي البطل، والبطل المضاد، والموضوع، والمرسل، والمرسل إليه، والمساعد. وقد كان للجهاز الوظائفي البروبي بالغ الأثر في البحوث اللاحقة، واستنادا لهذين الارثين المنهجيين السابقين بنى "غريماس" نموذجه العاملي».[1]

"بعد أن لاحظ أنّ منهج بروب المستند على تتالي الوظائف وفق آلية ميكانيكية، لايمكن أن يصلح لتحليل ملفوظات حكائية معقدة كالرواية".[2]

"لذلك استنبط غريماس من عملية تصنيف العوامل المحققة للعلاقات بين الوظائف في التحليل السردي نموذجا عامليا، تكمن بساطته في أنّه كله يتمحور حول موضوع الرغبة الذّي يسعى الفاعل لأجله والذّي يتحدد في موقع التواصل بين المرسل والمرسل إليه، وبرغبة الفاعل من جهته الموجهة وفق اسقاطات المساعد والمعارض".[3]

"أما "تودوروف" حاول تجريد الشخصية من محتواها السيكولوجي متوقفا عند وظيفتها النحوية داخل الجملة السردية، وعند النظام العلائقي الذّي يمكن أن تلعب فيه الشخصية الحكائية الدور الأول على مستوى الخطاب".[4]

"بل إنّ فيليب هامون يذهب إلى الإعلان عن أنّ مفهوم الشخصية ليس مفهوم أدبي محض، وإنّما هو مرتبط أساسا بالوظيفة النحوية التي تقوم بها الشخصية داخل النص"[5]

---

[1]- نصيرة زوزو، سيمياء الشخصية في رواية حارسة الظلال لواسيني لعرج، مجلة العلوم الانسانية،العدد09، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والانسانية، مارس 2006م.

[2]- عبد القادر شرشار،تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط،2006م، ص: 71.

[3]- نادية بوشفرة، مباحث في السيمائيات السردية، الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، الجزائر، دط، 2008م، ص: 49.

[4]- جوبدة حماس، بناء الشخصية في حكاية عبدو والجماجم والجبل لمصطفى فاسي، مقاربة في السرديات، منشورات الأوراس، الجزائر، دط، 2007م، ص: 59.

[5]- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، الفضاء الزمن الشخصية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990م، ص: 51.

أي أنّ الشخصية لم يعد لها وجود نفسي خارج إطار الجملة السردية، فالرؤية البنيوية ترتكز على الوظيفة النحوية داخل الجملة السردية لا الوظيفة النفسية والاجتماعية والثقافية للشخصية.

"وكأنّ الشخصية أصبحت ترتبط بنشاط القراءة بقدر ارتباطها بالنص السردي التخيّلي، ذلك أنّ القارئ أثناء كل قراءة يعيد بناء الشخصية من جديد، فليست الشخصية حينئذ سوى حالة خاصة بنشاط القراءة".[1]

فتغدو الشّخصية من منظور التحليل البنويّ للسرد القصصي وحدة أفعال يمنحها السّرد للشّخصيات ضمن سياق وظائفي متغيّر وفي إطار شبكة علاقات متداخلة تربط كل شخصية مع بقية الشخصيات الأخرى داخل القصة.[2]

ومنه نخلص أنّ المناهج النّصانية انصرفت بطريقة جذرية للاهتمام بهوية الشخصية من خلال وظيفتها أي شكلها، ولنا في النماذج العاملية التّي قدمها كل من بروب وسوريو وغريماس وهامون خير ممثل لهذا التوجه الذّي اختار أن تكون الشخصية علامة فارغة تمتلئ باجتماع اسمها وصفاتها ومجموع مايقال عنها بواسطة التلفظ.

[1]- جويدة حماس، بناء الشخصية في حكاية عبدو والجماجم والجبل لمصطفى فاسي، مقاربة في السرديات، م.س، ص: 59.

[2]- المرجع نفسه، ص: 60.

ثانيا : تصنيفات الشخصيات الروائية

تختلف طرق تصنيف الشخصيات من ناقد لآخر "فبروب" يصنف الشخصيات تبعا لوظائفها، بينما يقدم "غريماس" تصنيف جديد ويري أنّه لا يمكن أن تكون الشخصية شخصا واحدا، وهناك التصنيف الثنائي للشخصيات كما نجده عند "فورستر"، وهناك التصنيف الثلاثي كما نجده عند "فليب هامون"،أي تصنف وفق عدد من التحديدات الدقيقة المرتبطة بكيفية بنائها ووظيفتها داخل السرد وسنبدأ بعرض لتصنيف الشخصيات على النحو الآتي:

أ-الشخصيات تبعا للحدث:

يعتمد هذا النوع من التصنيف على الدور التي تقوم به الشخصية لبناء الحدث في النص وعليه فهناك شخصية رئيسية تتولى بناء الحدث بشكل كبير، وأخرى ثانوية لها نصيب أقل في بناء الحدث أي حسب الدور والفاعلية التّي تقوم بها ولنستهل حديثنا عن:

الشخصيات الرئيسية:

"يوجد في كل عمل روائي شخصيات تقوم بعمل رئيسي إلى جانب شخصيات تقوم بأدوار ثانوية، والتي لا تعني أنّها شخصيات أقل أهمية، فالشخصية "الرئيسية" هي التي تقود الفعل وتدفعه إلى الأمام وليس من الضروري، أن تكون الشخصية الرئيسية بطل العمل دائما ولكنّها هي الشخصية المحورية وقد يكون هناك منافس أو خصم لهذه الشخصية".[1] "وتوصف بالعمق، وبأبعادها الإنسانية المتنامية فكريا وعاطفيا وانفعاليا، وبحركتها الحرة المرنة التي تفاجئ من حولها بما تقدمه من جديد.ويبرز اهتمام السارد بالشخصية النامية من خلال تركيزه على صفاتها وأحوالها المتعاقبة والمتغيّرة، وكل خفايا نفسيتها، لكن بالوقت نفسه تختلف تسمياتها من ناقد لآخر."[2]

---

[1]- صبحيه عودة زعرب، غسان كنفاني جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلاوي، عمّان، ط1، 2006م، ص: 131-132.

[2]- بان البنّا، البناء السردي في الرواية الإسلامية المعاصرة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2014م، ص: 80.

فمنهم من يسميها: المستديرة، أو النامية، أو المتحركة، أو المتطورة، أو المدورة، أو الرئيسية، أو الشخصية المتعددة الأبعاد، أو المركبة، أو البطلة".[1]

الشخصيات الثانوية:

"وهي التّي تضيئ الجوانب الخفية للشخصية الرئيسية، وتكون إمّا عوامل كشف عن الشخصية المركزية وتعديل لسلوكها، وإمّا تبع لها، تدور في فلكها وتنطق باسمها، فوق أنّها تلقي الضوء عليها وتكشف عن أبعادها".[2]

فهي مكملة وبالرغم من ذلك فهي لاتدهش القارئ بأغلب أفعالها، فليس لحضورها من مفاجآت أم ما يحتاج إلى تفسير أو تحليل، غير أنّ تأثيرها غالبا ما يكون في نمو شخصيات أخرى، فهي شخصية جاهزة أو مسطحة، وقد تسمى ثانوية، أو بسيطة، أو غير معقدة وهذه الشخصية تأتي على نوعين (ايجابية وسلبية).[3]

ب- التقسيم الشكلي للشخصيات:

"من الأمور التّي طرحت في موضوع الشخصية خاصية الثبات والتغيّر إذ بإمكاننا أن نميّز نوعين من الشخصيات: شخصيات سكونية ثابتة (Statique) وشخصيات دينامية (Dynamique) وقد تكلم "فورستر" عن نوعين من الشخوص:

-الشخصيات المعقدة متعددة الأبعاد Miltidimensionel.

-الشخصية المسطحة Personnage plat..."[4]

---

[1]- بان البنّا، البناء السردي في الرواية الاسلامية المعاصرة، م.س، ص: 81.

[2]- صبحية عودة زعرب، غسان كنفاني جماليات السرد في الخطاب الروائي، م.س، ص: 132.

[3]- بان البنّا، البناء السردي في الرواية الإسلامية المعاصرة، ص: 83.

[4]- صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ط2، 2009م، ص: 388.

"فالمعقدة هي التي لاتستقر على حال، ولا يستطيع المتلقي أن يعرف مسبقا ماذا سيؤول إليه أمرها، لأنّها متغيرة الأحوال، ومتبدلة الأطوار فهي في كل موقف على شأن، إنّها الشخصية المغامرة الشجاعة، والتي تحب وتكره وتصعد وتهبط وتفعل الخير كما تفعل الشر. فالشخصية المدورة مثلا هي معادل مفهوماتي "للشخصية النامية" بينما المسطحة هي مرادف للشخصية الثابتة، على حين أن الشخصية الإيجابية ليست إلاّ الشخصية المدورة، أما السلبية يعرفها اسمها ويحددها مصطلحها، فهي تلك التي لا تستطيع أن تؤثر أو تتأثر فالشخصيات السلبية أو المسطحة أو الثابتة هذه المصطلحات الثلاثة تكاد تعني شيئا واحدا."[1]

أما فليب هامون فقد ربط النمذجة الشكلية للشخصيات بثلاث أنواع من الدلائل:

1-فئة الشخصية المرجعية(Personnages référentiels) : وهي نوع من الشخصيات التاريخية والميثولوجية والاجتماعية والمجازية التي تحيل على معنى ناجز وثابت تفرضه ثقافة ما. بحيث أنّ مقروئيها تظل دائما رهينة بدرجة مشاركة القارئ في تلك الثقافة.[2]

2-فئة الشخصية الواصلة(Personnages embrayeurs) :وتكون علامات على حضور المؤلف والقارئ أو ما ينوب عنهما في النص. وهي بمثابة المنشدين في التراجيديا القديمة والمحاورين السقراطيين والشخصيات المرتجلة،والرواة المؤلفين المتدخلين والشخصيات الناطقة باسم المؤلف،وفي بعض الأحيان يصعب الكشف عن هذا النمط من الشخصيات بسبب تدخل بعض العناصر المشوشة أو المقنعة التي تأتي لتربك الفهم المباشر لمعنى لهذه الشخصية أو تلك.[3]

---

[1]- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، دط، 1998م، ص: 89.

[2]- جويدة حماس، بناء الشخصية في حكاية عبدو والجماجم والجبل لمصطفى فاسي، مقاربة في السرديات، منشورات الأوراس، الجزائر، دط، 2007م، ص: 63-64.

[3]- ابراهيم عباس،تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية، دراسة في بنية الشكل، المؤسسة الوطنية للإتصال، الجزائر،دط، 2002م،ص: 155.

3-فئة الشخصية المكررة :(Personnages anaphores) :وتحيل على النظام الخاص بالعمل الأدبي، وتنسج داخل الملفوظ شبكة الاستدعاءات والتذكيرات لمقاطع من الملفوظ منفصلة وذات أطوال متفاوتة، ووظيفتها الأساسية تنظيمية لاحمة، وتعدّ من الدلائل المقوية لذاكرة القارئ (الشخصيات المبشرة بالخير، أو تذيع وتؤول الدّلائل، وتظهر هذه النماذج من الشخصيات في الحلم المنذر بوقوع حادث أو مشهد الاعتراف والبوح) ويري "ف.هامون" بأنّه بإمكان أيّة شخصية أن تنتمي في نفس الوقت أو بالتناوب لأكثر من فئة من الفئات الثلاث.[1]

[1]-جويدة حماس،بناء الشخصية في حكاية عبدو والجماجم والجبل لمصطفى فاسي، مقاربة في السرديات، م.س، ص: 64.

ثالثا: طرق تقديم الشخصية وعلاقاتها بالمكونات السردية الأخرى.

إنّ الحديث عن الشخصية له تصورات مختلفة، فالشخصية خاصية من خصائص الانسان وهي تختلف من شخص لآخر فلكلّ طريقته الخاصة في رسم شخصياته.

وقد أولى النقاد السرديون لطرق تقديم الشخصية في النص الروائي أهمية كبيرة، لما لها من دور مركزي رئيسي في تشغيل دينامية العملية السردية داخل فضاء النص.

"والمقصود بأشكال التقديم الطريقة التي يقدم بها الروائي شخصياته في الرواية".[1]

وقد تعددت واختلفت من روائي لآخر حسب تنوع أساليب السرد وأنماطه، ومن تلك الطرائق:

"1-أن يكتفي الروائي بسرد الأحداث سردا أشبه ما يكون بما يقع في حياتنا اليومية، ويترك للأحداث أن تفصح عن الشخصيات أو فكرتها، فالحادثة أصل بناء السرد.

2- أن يعمد الروائي فيها إلى التحليل، ويتدخل في التعليق على الأحداث والمواقف وشرح الحالات النفسية وغالبا ما ينهج الروائي إلى السرد المباشر.

3- أن يختفي الكاتب عن مسرح السرد، ويدع للشخصيات أن تنفتح على المواقف، أو الحوار أو الأفعال."[2]

وهناك طرائق أخرى، قسمت اعتمادا على امكانية الدلالة السردية في المباشرة أو عدمها نذكر منها :

---

[1]- محمد بوعزة، تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2010م، ص: 43.

[2]- بان البنّا، البناء السردي في الرواية الإسلامية المعاصرة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2014م، 72.

أ-الطريقة التحليلية : وهي طريقة مباشرة، يعنى في رسمها من الخارج حيث يذكر القاص تصرفاتها، ويشرح، عواطفها وأحاسيسها بأسلوب صريح،تتكشف فيه شخصيته، وتوجيهه لشخصياته وأفكارها وفق حاجته والهدف الذّي رسمه، كما ترد ملامحها الخارجية على لسانه.[1]

ب-الطريقة غير المباشرة(التمثيلية) : وهي التي يفسح الكاتب فيها المجال للشخصية نفسها لتعبر عن أفكارها وعواطفها واتجاهاتها وميولها لتكشف لنا عن حقيقتها، وكثيرا ما يقف منها الروائي موقف الحياد[2]"مستخدما ضمير المتكلم، إلاّ أنّه أحيانا قد يوظف القاص الطريقتين معا في قصة واحدة، لتصوير الشخصية كلّما اقتضت الضرورة الفنية ذلك كما هو الحال في الترجمة الذاتية، حيث يفسح الكاتب المجال للشخصية نفسها".[3]

"وفقا لهذه النظرة لا تكتمل الشخصية إلاّ بعد نهاية العمل الروائي حيث تقدّم للقارئ، الذّي يكوّن صورة كاملة عنها بواسطة مصادر خارجية ثلاثة هي:

-ما يخبر به الراوي.

-ما تخبر به الشخصيات ذاتها (التعرف الذاتي).

-ما يستنتجه القارئ عن طريق سلوك الشخصيات.

إنّ الشخصية بذلك تشكل شيئا شبيها ببياض دلالي، أو شكل فارغ يملأ بواسطة إسناد الأوصاف والأحداث له، ولكن قيمة الشخصية لا تظهر من خلال تلك الأوصاف فحسب بل من المتعارضات والعلاقات التي تقيمها مع غيرها".[4]

---

[1]- شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، دار القصبة، الجزائر، دط، 2009م، ص: 47.

[2]- صبحية عودة زعرب، غسان كنفاني جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلاوي، عمّان، ط1، 2006م، ص: 119.

[3]- شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة،ص: 47.

[4]- صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر ط2،2007م، ص: 392.

فالشخصية تعتبر العنصر المحرك لباقي المكونات السردية الأخرى وفيما يلي سنعرض علاقتها بباقي المشكّلات السردية الأخرى:

1-علاقة الشخصية بالراوي:

ترتبط الشخصية بالقاص أو المؤلف ارتباطا وثيقا، لأنه هو الذّي يصنعها ويقدمها في شكلها الكامل للقارئ كما أنّه يمكن أن يحملها رؤاه وقضاياه، كما أنّها يمكن أن تعبّر عن انتمائه الاجتماعي،"ثمة علاقة جدلية قائمة بين الشخصية والروائي بوصفه المحرك الأساس لعملية القص الروائي...لكنّه أيضا شخصية يكون موقعه داخل النص الروائي وليس خارجه"[1] لأنّه هو الذّي ينظم أجزاءها ويعرض الأحداث من وجهة نظره هو، "إنّ الروائي هو الذّي يخلق الشخصيات والخلق هو الإبداع وعدم التقليد، بمعنى أن يضفي على شخوص روايته خصوصية تميزها عن غيرها، وبذلك يكون الروائي قد صنع فضاء روايته بكيفية خاصة، لا تشير إلاّ إليه، ونقل الشخصية عبر فضاء الكتابة إلى ذاكرة القارئ".[2]

لا يمكن أن يقام السرد دون الحديث عن الراوي وعن زوايا الرؤية التي يتحدث بها؛ وهي الطريقة التي يعرض بها الراوي أحداث الرواية وتكون من خلال ثلاث أوضاع:

أ-الرؤية من الخلف: (Vision par dérriére): في هذه الحالة تكون معرفة الراوي أكثر من معرفة الشخصيات، فهي لا تملك أسرار بالنسبة إليه، إنّه يعرف ما قامت به، وما ستقوم به، أو ما تفكر فيه؛ فالشخصيات لا تملك أسرارا بالنسبة إلى الراوي الذّي يقرأ أفكارها ويرى من وراء الجدران.[3]

---

[1]- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات الكتابة الروائية، دار الغرب للنشر والتوزيع، دط، دت ط، ص: 135.

[2]- عالية محمود صالح، البناء السردي في روايات إلياس خوري، دار أزمنة للنشر والتوزيع عمّان، ط1،2005م، ص: 121.

[3]- عمر عيلان، في مناهج تحليل الخطاب السردي، منشورات إتحاد الكتّاب العرب، دمشق، دط، 2008م، ص: 93.

ب-الرؤية مع :(Vision avec) : أو الرؤية المجاورة وفي هذا النمط نلمس تساويا بين معرفة الراوي ومعرفة الشخصية عن نفسها وهذه الرؤية كثيرة التوظيف خصوصا في الموجة الجديدة للكتابة الروائية، حيث يعرض العالم التخييلي من منظور ذاتي داخلي لشخصية روائية بعينها، دون أن يكون له وجود موضوعي محايد خارج وعيها ويمثل"تودوروف" لهذه الرؤية بالمعادلة(السارد = الشخصية).[1]

ج-الرؤية من الخارج: (Vision par dehors):في هذا النوع من الرؤية تكون معرفة الراوي بالشخصيات محدودة جدّا وحقيقتها غائبة عن إدراكه الكلي، وهو لا يقدم لنا منها إلاّ ما هو ظاهر للعيان، وهذه الرؤية نادرة جدا في السرد القديم والحديث ولا نكاد نعثر على نماذج منها تامة إلاّ قليلا.[2]

2-علاقة الشخصية بالحدث:

إنّ سلوك الشخصية وتصرفاتها يساهم في بناء الحدث وتفعيله، كما أن الحدث يساهم أيضا في تطور الشخصية، وعلاقة الشخصية بالأحداث في الرواية تأخذ أكثر من مستوى، فالشخصيات تتطور وتنمو بتفاعلها مع الأحداث، ومع من حولها.

"ومن هنا نؤكد على الدور الذي يقوم به الحدث في تحديد الفعالية السردية للشخصية، فهما عنصران متلازمان لا يفترقان، ومن الخطأ التفريق بين الشخصية والحدث لأن الحدث هو الشخصية وهي تعمل".[3] فما من تطور يطرأ على الشخصية إلاّ ويكون الحدث هو السبب الرئيسي فيه، فكل تطور يطرأ على بنية الأحداث إلاّ وينعكس مدا وجزرا على موقف الشخصيات، ويؤثر فيها سلبا أو إيجابا.

---

[1]- نضال محمد الشمالي، الرواية والتاريخ، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2006م، ص: 200.

[2]- عمر عيلان،في مناهج تحليل الخطاب السردي،م.س،ص: 93.

[3]- محمد صابر عبيد وسوسن البياتي، جماليات التشكيل الروائي، دار الحوار للطباعة والنشر، اللاذقيّة، سوريا، دط، دت ط، ص: 183.

3-علاقة الشخصية بالزمان:

كما ترتبط الشخصية بالراوي والحدث، فإنّها ترتبط بالزمان بحيث"ترتبط مع الزمن بعلاقة جدلية، يتأثر كل منهما بوجود الآخر، فالزمن يحتوي الإنسان بين قطبيه الميلاد والموت حيث يولد ويكبر ويمر بمراحل التكون مع حركة الزمن"[1]، والزمن الذّي يمنحه الراوي لشخصياته ينعكس أيضا على أفعالها وتصرفاتها، "لأن كل إنسان يحمل في أعماقه زمنه الخاص الذّي يحدد به الوقت بصورة ذاتية، فالزمن قوة مؤثرة تدخل ضمن التركيب الداخلي للشخصية وتعمل على اندفاعها، وتغيرها وتحولها على الدوام".[2] إن الزمن يرافق الشخصية من اللحظة التي يصنعها فيها المؤلف حتّى اكتمال شكلها الذّي يريد الروائي تقديمه للقارئ.

4-علاقة الشخصية بالمكان:

المكان هو الفضاء الذّي تلعب فيه الشخصية دورها وتمارس تحركاتها عبر أزمنة متعددة. فيكشف عن أبعادها وسلوكها فالشخصية تتأثر بالمكان وتؤثر فيه بحيث"المكان لا يظهر إلاّ من خلال وجهة نظر شخصية تعيش فيه، أو تخترقه وليس لديه استقلال إزاء الشخص الذّي يندرج فيه، وعلى مستوى السرد فإنّ المنظور الذّي تتخذه الشخصية، هو الذّي يحدد أبعاد الفضاء الروائي، ويرسم طبوغرافيته ويجعله يحقق دلالته الخاصة وتماسكه الإيديولوجي."[3]والمكان لا يكون في معزل عن عن غيره من عناصر السرد، "وتأسيسا على ذلك يمكننا النظر إلى المكان بوصفه شبكة من العلاقات والرؤيات، ووجهات النظر التّي تتضامن مع بعضها لتشييد الفضاء الروائي الذّي ستجري فيه الأحداث، فالمكان يكون منظما بنفس الدقة التّي نظمت بها العناصر الأخرى في الرواية.[4]

1- مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،ط1،2004م،ص: 149.

2- المرجع نفسه،ص : 150.

3- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، الفضاء الزمن الشخصية، المركز الثقافي العربي،بيروت،ط1،1990م،ص: 32.

4- المرجع نفسه، ص: 32.

لذلك هو يؤثر فيها ويقوّي من نفوذها، كما يعبر عن مقاصد المؤلف، وتغيير الأمكنة الروائية سيؤدي حتما إلى نقطة تحول حاسمة في الحبكة، وبالتالي في تركيب السرد والمنحى الدرامي الذّي يتخذه".[1]

خلاصة القول: إن الشخصية الروائية هي الحاملة للحدث والمنفعلة به، وتقيم لنفسها شبكة العلاقات تبدأ من التناظر مع الزمان والمكان، وتأخذ من اللغة والمعطى الإيديولوجي هويتها وتنتهي بصراعها مع الراوي وسرديته، ضيقا واتساعا حضورا وغيابا، والأهم قدرتها على طرح نفسها أمام القارئ، بحيث لايحس أنّها دمى يحركها الكاتب، فهي تعتبر حلقة وصل بين جميع المكونات السردية من زمان ومكان وراوٍ وأحداث، فالراوي يتخيل الشخصية ثمّ يحدد لها زمان ومكان معين تنشأ فيه، وأخيرا يقحمها في صراع أي حدث تتأثر وتؤثر به.

[1]- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، م.س، ص: 32.

ملخص الرواية:

لقد أبدع الكتاب الجزائريون في رسم شخصياتهم وكل حاول رسم شخصياته حسب منظوره الخاص، سواء من واقعه المعيشي أو مجرد شخصيات وهمية، تحاول إبراز رؤى وأيديولوجيات يحاول من خلالها الكاتب التعبير عن فكره و ميولاته السياسية أو الاجتماعية أو الإنسانية، أو يحاول من خلالها طرح جزء من ذاكرته، ويرسم من خلالها ملامح مجتمع عاش فيه وتعايش معه وذاب في كل قطعة من ترابه.

ولقد تباين الكتاب الجزائريون في كيفية طرحهم لرؤاهم وفي كيفية خلق شخصياتهم، وكل أضفى على شخوص روايته خصوصية تميزها عن غيرها، وبذلك يكون الروائي صنع فضاء روايته بكيفية خاصة لا تشير إلاّ إليه، ونقل شخصياته من فضاء الكتابة إلى ذاكرة القارئ وانشغالاته وأسس في فضاء القراءة وجهة نظر ما.

وقد اخترت في بحثي هذا عينة من بعض الروايات التي نالت حضوه عند جمهور القرّاء، وهي رواية من قتل هذه الابتسامة؟ لليامين بن تومي، وهي عمل حكائي يسافر بالقارئ إلى عمق الذاكرة الحزينة لكاتب مناضل عايش الموت وتعايش معه، في شخصيات بصمت تاريخ وطنه الجزائر، وتبدأ الرواية بطرح لهذه الذاكرة الحزينة، في ذكر شخصيتين تنكر لهما الوطن فماتا فداءا فيه، الأول هو رئيس الجمهورية السابق "محمد بوضياف" الذّي قتل مغدورا بعد رجوعه لأرض الوطن وتوليه الحكم، والثاني هو الدكتور "عبد القادر بن النوي"عالم الفيزياء الذّي رجع بدوره إلى أرض الوطن ليستثمر فيه علمه، ويحاول النهوض به، لكنّه انتحر بعدما تنكر له نفس الوطن.

ثمّ انتقل إلى عالم الوصف من خلال رسم للحياة الاجتماعية التي لعبت دورا مهم في تكوين شخصية الراوي، من خلال ذكره للرعي والمروج، واد بوسلام، شجرة الصفصاف، والمنزل العائلي الكبير والبسيط في شكله، وكذلك الحنين والألفة والروابط المتينة التي تربط كل العائلة تحت لواء الحب...

إضافة إلى بعض المواقف التي تعرض لها في طفولته مع العائلة وفي المدرسة، وقصة مرضه بالكيس المائي في رئتيه، حيث كان مرضا خطيرا، وقد أثّر في نفسيته لأنّه كان معزول في غرفة وحيد خوفا من أن تنتقل العدوى للآخرين.

في حين كان أقرانه يلعبون ويمرحون في عالم حر فسيح، ثمّ تماثله للشفاء وخروجه من مستشفى الولاية الذّي أجرى فيه العملية الجراحية الناجحة من طرف طبيب روسي.

وقد ذكّره هذا الاحتجاز بقصة اعتقاله شهرا كاملا من طرف أعوان الدولة، بسبب الحالة الأمنية الصعبة، وما قاساه من ضرب وتنكيل، وصموده وشجاعته في ذلك الموقف لأنّه كان طالبا جامعيا واعيا، وشابا شجاعا.

وتمر الأيام ليصبح هذا الطالب أستاذا جامعيا وطبيبا مختصا في الأمراض العقلية محترما بين سكان قريته، ويستمر في سرد حكايته مع "الباي" ذلك الرجل المجنون الذّي ربطته معه علاقة صداقة وحب أزليّ، لأنّه كان الوحيد الذّي يفهمه دون باقي سكان القرية ويرى فيه شخص بعيد كل البعد عن الجنون، عكس صديقه "رامي" الذّي أحبه من أجل المصلحة، حين كان يعمل "رامي" نادلا في مقهى عمه التي يرتادها الراوي، حيث ساعده في الحصول على وظيفة محترمة نجح فيها وقطع كل اتصالاته بالبطل(الراوي)، مما أثّر في نفسيته، لأنّه لم يتوقع منه ذلك، ولأنّه كان يرى فيه الصديق الوفي الذي لايفارقه.

وبعدها ينتقل الراوي إلى قصة جارته"مدام ايفات" التي جاءت مغتربة إلى هذا الوطن مع أبنائها وزوجها الذّي تركهم فجأة حين دخل السجن ولم يعد، وما كان من أمرها أنّها تأقلمت مع مجتمعها الجديد الذّي أعجبت به وبأخلاقه السامية وتكافل أبنائه مع بعض، ونتيجة لذلك أنّها أشهرت إسلامها وتحول اسمها إلى "حبيبة" وكان حدثا رائعا هزّ القرية كلّها، خاصة عند البطل، لأنّها كانت بمثابة أمّه، وكانت بدورها تحبه كابنها"رياض"، الذّي رحل وعاد إلى وطنه فرنسا بعد وفاه والدته"حبيبة" متأثرة بسرطان الثدي.

وبين أحداث الرواية نجد بعض المواقف والقصص التي حدثت معه في المستشفى، كقصة العجوز "رحمة" التي أراد ابنها الحكم على أملاكها بالحجر، تحريضا من زوجته وطمعا في أملاكها، وذلك الشاب الذّي قتل والده متأثرا بأقوال الحزب السياسي المتطرف والذّي صنع منه إرهابيا بامتياز.

وهكذا يستمر الراوي في سرد أحداث الرواية وما تعلق بقصة حبه مع" الكاهنة" تلك الفتاة الأمازيغية المثقفة التي تأثر بها، وقصة عمه الصغير ومحمد وعلي...وكلّها صور أثرت في حياته، حيث كان فهمه لها، بأنّها تدور كلها في فلك الجنون، الذّي يرى فيه عالما

مختلفا عن الواقع، عالما متعالي عن عالم المثل، لأنّ كل حدث هو جنون من نوع مختلف صنعه المجتمع، إمّا بجهل أو بحكم عرف ما أو تعصبا مذهبيا وتضليل فكري.

أولا: قراءة في عتبات نص الرواية (العنوان، صورة الغلاف، الإهداء).

العنوان:

يدخل العنوان والرواية في علاقة تكاملية وترابطية الأول يعلن والثاني يفسر، فالعنوان هو المفتاح الذهبي للولوج لعالم النصوص الروائية، وما هو إلاّ رسالة يبعث بها المرسل إلى المرسل إليه، ليزوده بشفرة لغوية، وهو بهذا يعدّ نواة ومركز النص الأدبي، يختصر جسد النص ويؤسس لهويته، فالعنوان هو عتبة النص وبدايته وإشارته الأولى وهو العلامة التي تطبع الكتاب أو النص وتسميه وتميّزه عن غيره.

"إنّ المهتمين بعلم العنونة (Titrologie) أجمعوا أنّ عناوين جميع الكتب تشترك بالدرجة الأولى في تعيينها، ذلك أن عنوان الكتاب هو اسمه، والاسم رسم وسمه توضع على الشيء تعرف به "[1]

وعلى هذا الأساس يعتبر عنوان رواية "من قتل هذه الابتسامة؟" النواة الدلالية الأولى الأصلية التي تتفجر منها الدلالات الفرعية الأخرى، ويلاحظ قارئ رواية "من قتل هذه الابتسامة؟"أنّ العنوان يرتبط بالمتن الروائي، ارتباط السبب بالنتيجة إنّه فعلا مفتاح النّص، إنّه البداية الكتابية التي تظهر على واجهة الكتاب كإعلان إشهاري ومحفّز للقراءة.

وتتألف بنية العنوان من جملة اسمية استفهامية، فالمبتدأ هو أداة الاستفهام "من" ويأتي بعده الفعل "قتل" وهو فعل ماضي، أي أن الفعل قد نفذ وحدث، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، و"هذه" اسم اشارة مبني في محل نصب مفعول به، "الابتسامة" بدل منصوب.

والخبر الجملة الفعلية (قتل هذه الابتسامة).

---

[1]–فوزي الزمرلي، شعرية الرواية العربية، بحث في أشكال تأصيل الرواية العربية ودلالاتها، مؤسسة القدموس الثقافية، دمشق، دط، 2007م، ص: 368.

من خلال العنوان نستشف أن هناك شخصيتين إحداهما قامت بفعل القتل وهو الجاني، وهنا الفاعل ضمير مستتر أي غير معروف مبهم، قاتل غامض، يأتي ليدمر ويسفك الدماء ويرحل ويختفي دون أن يترك له أثر يعرف به.

وهذه تدل على الشخصية الضحية التي قتلت ابتسامتها أي المغدور بها.

فالفعل قتل يوحي على سفك وإراقة الدماء، هو سلب للحياة التي منحها الله للبشر، وعكسه منح الحياة .

الابتسامة إحدى دلالات السعادة، هي عنوان للفرح لكنّها قتلت في مهدها، سلبت عنوة وأصبح مكانها الحزن والألم والبكاء والدموع.

يأتي العنوان بصيغة استفهام تنتهي بعلامة تعجب واستفهام، توحي على الحيرة والتساؤل لماذا كل هذا الظلم؟ لماذا أيّها الإنسان المغرر بك صرت عدوا لأخيك وانعدمت فيك كل معاني الإنسانية؟.

وعندما نلج الرواية نجد أن الكاتب ذكر جملة —من قتل هذه الابتسامة؟- في مواضع منها لربطها بالعنوان، وليحيل العنوان على مافي الرواية، ونلحظ هنا تكرار هذه الجملة في المتن للدلالة على العتاب واللوم والقهر والألم، الذّي يؤدي إلى الجنون، وربط معاناة جميع أشخاص الرواية بالاضطهاد وممارسة العنف.

مثل ما نجده في هذه المقاطع من إشارات ترتبط بالعنوان وتحيل إليه :

"كلّما أحببنا شيء قتلناه...الحب عندنا يساوي الموت..."[1]

ويشير هنا أننا لم نفهم معنى الحب لأننا صرنا نربطه بالقتل.

"لم أفهم أبدا كيف يمكن لأحدهم أن يقتل التاريخ بهذه البرودة...أن يخيط له كفنا فجأة..."[2]

وفي هذا إشارة إلى شخصية الرئيس بوضياف التي قتلت غدرا.

---

[1]- اليامين بن تومي، من قتل هذه الابتسامة؟ رواية، الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2011م، ص: 7.

[2]- المصدر نفسه، ص: 9.

"سلبت مني الابتسامة التي كانت تعلن لكلّ العالم فرحتي وبهجتي..."[1]

يعبّر هنا عن مشاعر اللوعة والأسى التي كان يشعر بها .

"أنا الذّي شعرت بدمار متعدد الأبعاد...سَلَخْتَ عنّي كلّ ابتسامة شعرت بها ..."[2]

وهنا في هذا المقطع يشير إلى صديقه "رامي" الذّي تركه وتنكّر له.

"سأغلق الابتسامة إلا على أولئك المساكين الذين لفظهم القدر حيرى في عالم مليء بالحسرة".[3]

يعبر عن معاناة الآخرين والإحساس بألمهم.

"أن أدفع دموعي مرة واحدة لتبقى وحدها الابتسامة تصنع أيامي المقبلة..."[4]

في هذا المقطع يعبر عن محاولته لتجاوز أزمته النفسية حتى تعود له ابتسامته التي سلبت.

"متى يدركون أنّني أردت فقط أن أعلمهم العيش بفرح...أن أزرع الابتسامة على محيّاهم..."[5]

حاول أن يكون رسول أمل وفرح بالنسبة لهؤلاء الذّين كسروا على مسارح الحياة،وأن يرجع ابتسامتهم من جديد.

" لم أنس الذّي سرق مني الابتسامة...اختطف الرحمة التي كانت في قلبي..."[6]

عبّر عن معاناته في زمن يعيش النفاق والكذب والخذاع.

"قبل أن تأتي تشرق ابتسامتك فيضا...أخبئها في قلبي أغلفها في أوردتي مخافة أن تسرق منّي..."[7]

---

[1]- اليامين بن تومي، من قتل هذه الابتسامة؟ رواية، م.س، ص: 10.

[2]- المصدر نفسه، ص: 22

[3]- المصدر نفسه، ص: 24.

[4]- المصدر نفسه، ص: 52.

[5]- المصدر نفسه، ص: 56.

[6]- المصدر نفسه، ص: 62.

[7]-المصدر نفسه، ص: 95.

يشير هنا إلى صديقه وعن المشاعر التي تنتابه عندما كان يلتقي به.

"أنت من سرق مني الابتسامة..."[1]

يعبر عن مشاعر اللوم والعتاب بسبب صديقه الذّي تركه.

"يالله أكلما بحثت عن شيء وجدته مات...من بمقدره قتل هذه الابتسامة؟..."[2]

في هذا المقطع يشير إلى حزنه العميق لأنّه فقد كل من يحب.

"سأذهب إلى هناك إن اضطرني أن أموت ...بعد سنوات من رحيله وجدت طردا على مكتبي...داخله كتاب "بيار" قرأت عنوانه من قتل هذه الابتسامة؟..."[3]

وهنا يشير أنه استلهم عنوان روايته من طرد وصله من صديقه بيار، الذّي بداخله كتاب عنوانه "من قتل هذه الابتسامة".

وهنا وفي كل هذه المقاطع التي أوردت ذكرها، حاولت أن أبيّن أن العنوان كان مرتبط بالمتن أشدّ الارتباط، لأنّه كان يفسر العنوان ويعبّر عنه، ومنه فالعنوان ماهو إلاّ مرآة مصغرة تشكل ذلك النسيج النصي.

---

[1]- اليامين بن تومي، من قتل هذه الابتسامة؟ رواية، م.س، ص: 97.

[2]- المصدر نفسه، ص: 181.

[3]- المصدر نفسه، ص: 183.

قراءة في الغلاف:

يعتبر الغلاف الخارجي المعبر الأول الذي يدخلنا إلى أغوار النص، هو عتبة بصرية تبرز كوامنه، وفي رواية من قتل هذه الابتسامة؟، جاء الغلاف مؤازرا ومدعما في دلالته للقصة، فأول ما يطالعنا لوحة زيتية داكنة اللون (أسود مائل إلى الرمادي) تغطي كامل الغلاف.

يأتي في الأعلى اسم الكاتب باللون الأبيض وبخط صغير، واللون الأبيض يرمز للسلام والسعادة.

يليه العنوان بخط واضح وبارز باللون الأحمر، غطى جميع الأحرف حتى التي فيها مساحة فارغة كالميم والهاء والقاف،، كأنّ القتل اكتسح جميع الأمكنة، فهو يوحي على جرائم وسفك للدماء. ينتهي بعلامة تعجب واستفهام، لأن القاتل غامض وليوحي كذلك على الحيرة والتعجب.

يتخلل الغلاف طريق مضرج بالدماء، ويبتدأ من أعلى إلى أسفل، يتوسط الطريق آلة حادة مسننة بشكل بارز في وسطها قلب بين فكيها، يحمل رسم صورتين وهما يحيلان على الشخصيتين اللتين قتلتا ظلما.

هذه الآلة هي آلة صيد يضعها الصياد للامساك بفريسته حتى لاتستطيع الفرار.

وفي الأسفل كتبت لفظة "رواية" بالأبيض ودار النشر كذلك وهي تحيل على التعيين الجنسي للنص، كتبت بخط صغير والبياض هنا يشير إلى الأمل والسعادة برغم الحزن المخيم على المكان.

فغلاف النص يعبّر عن مأساة وقعت وجريمة قتل راح ضحيتها أبطال من الرواية.

فالسواد هنا يرمز إلى الحزن والتشاؤم، فنجده كذلك يغطي المساحة الكاملة للغلاف في الواجهة الأخرى، التيّ يتخللها إهداء كتب باللون الأبيض وهو نفس الإهداء الذي كتب داخل الرواية.

ونلحظ هنا تقاطع اللون الأبيض مع اللون الأسود، لهذا نجد الناس في قديمهم وحديثهم يجعلون ثوب الزفاف أبيض اللون، لأنّه يرمز للعطاء والخير والتفاؤل والبراءة والطهر، بينما جعل أكثر الشعوب اللون الأسود رمزا للحداد، الشؤم والموت.

قراءة في الإهداء:

من خلال الإهداء يتبيّن أن الكاتب تأثر بشخصية من الرواية تركت فيه أثرا بالغا وجرحا لا يندمل، فكان فقدها يعد مأساة حقيقية، وجريمة لا تغتفر.

عبارة الإهداء تأتي:" إليك وحدك ...حين كنت دافئا تعطر جناح اليأس وحين أصبحت يائسا تكتب مسافات العشق على خدود الأوراق...

إليك هذه الرحمة مرة أخرى وبصمت...لأنك أنا يا حمرة الخد...أكتب نصنا الذّي لن ننساه...فقط لا تلمني على أوراقي فهي ملكك كذلك بل لك فيها ما ليس لي...ولأني أحبك كتبتك بل كتبتني..."[1]

فالرواية كتبت من أجله وأوراقه وحبره سال من فرط حبّه لها، فأراد أن يخلدها عبر كلماته علّها توفيه حقه.

كذلك جاء الإهداء إلى ضريح الولي الذّي يرمز إلى الثقافة و الهوية الجزائرية، ويعتبر من أكثر العادات والتقاليد التي يتمسك بها المجتمع الجزائري الذّي يرفع من قدر أولياء الله الصالحين، رغم أنّها شخصية رمزية إلاّ أنها تمثل الإخلاص واليقين وصفاء النفس والبعد عن الأحقاد والضغائن التي تأدي إلى الهلاك.

فكانت عبارة الإهداء له: "إلى ضريح الولي الذّي علمنا أن الحقيقة هي الإخلاص في الطريقة..."[2]

كذلك إلى أبرز الكتّاب الجزائريين الذّين كتبوا أسماءهم بحروف من ذهب عبر رواياتهم، التي نالت الحضوة لدى جمهور القراء والمتابعين.

---

[1]- اليامين بن تومي، من قتل هذه الابتسامة؟ رواية، م.س، ص: 5.

[2]- المصدر نفسه، ص: 5.

فجاءت عبارة الإهداء: "إلى من علمني أن القلم محنة كذلك أستاذي واسيني الأعرج..."[1]

فكانت بمثابة النبراس الذّي سار على هديه العديد من الكتّاب الذّين جاؤوا بعدهم.

[1]– اليامين بن تومي، من قتل هذه الابتسامة؟ رواية،م.س، ص: 5.

ثانيا: دلالة الاسم الشخصي.

يؤدي الاسم الشخصي دورا فاعلا في الإيهام بالواقع، ضمن كل عمل روائي، فلقد شكل صراعا كبيرا بين النقاد والباحثين، وهذا بطبيعة الحال حسب توجهاتهم الفكرية والمعرفية، فكانت اتجاهات كثيرة دعت إلى ضرورة الاهتمام به من خلال قراءتها للشخصية والبحث عن أبعادها، فمنهم من جعل الاسم الشخصي علامة لغوية، ومنهم من جعله يحدد المكانة الاجتماعية التّي يحتلها وعلاقته بالزمان والمكان وحتى التوجه الفكري والفلسفي. وبما أنّ الشخصية هي الحجر الأساس في العمل الروائي، وهي الحاملة لرسائل متعددة للمتلقي، فاختيار أسمائها تحدد مدلولاتها، ولهذا "يسعى الروائي وهو يضع الأسماء لشخصياته أن تكون مناسبة ومنسجمة؛ بحيث تحقق للنص مقروئيته وللشخصية احتماليتها ووجودها...فالاسم الشخصي علامة لغوية بامتياز، وإذن فهو يتحدد بكونه اعتباطيا ، ولذلك فمن المهم أن نبحث في الحوافز التّي تتحكم في المؤلف وهو يخلع الأسماء على شخصياته".[1]

ويسعى السارد بهذا الاختيار إلى التنويع في التسمية وبالتالي التنويع في الصفات الداخلية والخارجية، فيمنحها إيحاءات وأبعاد جمالية، حيث أنّ انتقال الاسم من الواقع إلى المجال الروائي، هو المحافظة عليه وتماثله في الحياة العادية بل أن يعطيها بعدا تخييليا أيضا، وكان اسم الشخصية هو الذي " يعلن الخصوصيات التي ستمنح له، لأنّ الاسم الخاص ليس مثاليا وغير وصفي، ومن هنا ينبغي أن نميّز الأسماء الاستعارية والاستحضار بالمحيط...ويمكن لهذه الأسماء من ناحية أخرى إمّا أن تقيم مع الشخصية علاقات تداولية محضة، وإمّا أن توجد مقحمة في السببية التركيبية للحكي".[2]

---

[1]- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، الفضاء الزمن الشخصية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990م، ص: 247.

[2]- تزفتان تودوروف، مفاهيم سردية، تر عبد الرحمان مزيان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2005م، ص: 78.

من خلال التدقيق في منظومة الأسماء في الرواية، وجدنا أن الأسماء المختارة عربية الأصل، وهذا يدل بشكل جلي على الانتماء الشخصي للروائي، ويحدد هويته وأصالته العربية الإسلامية ، وكذا الانتماء الوطني، فنلحظ جل الأسماء مستقاة من البيئة الجزائرية، وهي الأسماء الأكثر تداولا فيها، باستثناء بعض الأسماء الأجنبية التي لم يكن لها دور كبير، فهي توحي على وقوع الجزائر تحت نير الاستعمار الفرنسي، لأنّ بعض الشخصيات من الرواية شاركت في ثورة التحرير المجيدة.

بوزيد: هو أوّل اسم يصادفنا، الشخصية البطلة والساردة في نفس الوقت، تعتبر هذه الشخصية الأكثر حظ في الظهور، لأنّه الشخصية التي تروي الأحداث وتتكلم بلسان شخصياتها، فهو طبيب نفسي له حضوره المميّز تتقاطع معه جميع الشخصيات وتدور في فلكه.

فاسم (بوزيد) منطوق باللهجة الجزائرية، حذفت فيه الألف وأهملت، فصار "بوزيد" وأصله العربي (أبو زيد). فهو مركب من شقين (أبو+ زيد) فأبو يمنح معنى الأبوة بكامل تجلياتها وهو من الأسماء الخمسة.

وزيد في اللغة كما جاء في لسان العرب: "الزيادة النمو وكذلك الزوّادة، والزيادة: خلاف النقصان".[1]

فهذه الشخصية نامية متطورة، فهي لاتبقى على حال، تؤثر وتتأثر بمن حولها، برغم الصعوبات التي واجهت "بوزيد" في حياته، فقصة مرضه واعتقال طفولته وكذا اعتقاله وهو شاب، أثّرت فيه لكن صنعت منه شخص ذو عزيمة وإصرار وجعلته يحتل مكانة مرموقة وحضوة كبيرة في المجتمع.

إنّ دلالة اسم "بوزيد" تحمل معنى الزيادة أي زيادة الخير والفرح ، فمن خلال السرد تظهر أنّها منحت طاقة ايجابية لكل من حولها وكذلك الأمل والأمان.

حاول مساعدة أناس تعايش معهم، وكسب حبّهم ومودتهم واحترامهم، لكن في الوقت نفسه تلقى الخذلان ونكران الجميل من بعضهم كصديقه "رامي".

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، دط، دت ط، ص: 1897.

ويتكلم عن نفسه بكل فخر واعتزاز:

"أنا ذلك الطبيب الذّي باتت تكتب عنه الصحافة وتستقبله وسائل الإعلام ليتحدث عن مرضاه...لقد أصبحت ملاذ الجميع في زمن الإنحدار"[1]

فدلالة اسم "بوزيد" تنطبق تماما مع الشخصية البطلة.

أمّا الشخصية التّي أثرت بشكل كبير في الشخصية البطلة هي شخصية " محمد بوضياف" الشخصية الغائبة الحاضرة بتاريخها العريق.

فدلالة اسم "محمد" تحمل معنى الحمد والثناء والتقدير فهم اسم عربي أصيل، يكفي أنّه اسم سيّد الخلق أجمعين عليه أفضل الصلوات والتسليم.

فنجد هنا شخصيتين في الرواية تحملان هذا الاسم، الشخصية الراحلة " محمد بوضياف" لها وزنها التاريخي، شخصية ثورية وقيادية.

أمّا الشخصية الثانية التّي تحمل هذا الاسم فهي شخصية "العم محمد" عم الشخصية البطلة كان لها حضور مميّز في ثنايا السرد، هي كذلك شخصية ثورية.

الباي: شخصية مجنونة صديقة مقربة من "بوزيد"، تحمل دلالة اسم الباي معنى القيادة، فهو لقب تركي يطلق على حاكم المقاطعة، ومعناها السيد أو الأمير وتلفظ هكذا "بيه"، توحي على الإمتداد التركي الجزائري.

ودلالة هذا الاسم ترتبط بالشخصية، لأنّه دائما يظن أنّه المهدي المنتظر ذو الشأن العظيم، ليخلص الناس من الشر الذي يعتريهم .

"جاءني بالأمس...أقول من؟ نعم... جاءني في شكل هرة بيضاء جميلة...وقال لي: أنّني المهدي المنتظر...ثم يريني بعض الشعرات على كتفه أنّها علامة..."[2]

---

[1]- اليامين بن تومي، من قتل هذه الابتسامة؟ رواية، الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2011م، ص: 58.

[2]- المصدر نفسه، ص: 26.

شخصية مليئة بالتناقضات رغم جنونها، مقربة جدا من الشخصية البطلة شكلت نموذج الصديق الوفي، فهي حبلى بالانفعالات النفسية وترسبات الماضي، لأنّه كان شخصية سوية، فالظلم الذي تعرض له شكّل له عقد نفسية جعلته يفقد السيطرة على عقله، ويرحل إلى عوالم أخرى بعيد عن المحيطين به.

رامي: هي الشخصية الثانية التي كان لها حضور مميّز عبر ثنايا السرد.

فاسم رامي:" اسم فاعل للفعل رمى، يرمي رميا فهو رامٍ"[1].

فهو اسم عربي أصيل، وهو من يجيد الرماية ويقصد يروم الهدف ويصل إليه.

وفعلا تنطبق دلالة اسم الشخصية مع ظاهرها من خلال سلوكها وعلاقتها بالشخصية البطلة "بوزيد"، فقد أحسن الرماية وحاز على اهتمام "بوزيد" ومساعدته وإخراجه من البيئة التي كان يعيش فيها، فهو لم يكن إلاّ نادلا في مقهى واستطاع بمساعدة "بوزيد" أن يحصل على وظيفة محترمة ووصل إلى هدفه، لكنه تنكر لصديقه الذي ساعده ونسيه بعد ترقيه في الوظيفة، فهو يمثل نموذج لشخصية الناكرة للجميل.

العم علي: اسم شخصية حازت على تقدير واحترام الشخصية البطلة فهو عمه الأكبر.

وهذا الاسم عربي أصيل يحمل دلالة علو الشأن والرفعة والسيادة والقيادة، وتنطبق دلالة الاسم مع الشخصية، لأنّه كان الأب لكل إخوته وسهر على تربيتهم وأفنى شبابه من أجلهم بعد وفاة والدهم، فكان يحضى بتقدير الجميع وكلمته مسموعة من الكل.

العم الصغير: هو الشخصية الثانية المجنونة، لها حضور مميّز شخصية لها تاريخ مشرّف فقد شارك في الثورة وقبض عليه وجن تحت تأثير التعذيب.

لقب الصغير يوحي بالصغر عكس الكبير، لكنّه كبير بانجازاته، فالصغير لا يوحي على تقليل الشأن فهو يعنى القوة والشباب.

---

[1]- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تر عبد الحميد هنداوي، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م، ص: 152.

أمّا العمرية: وهي تمثل شخصية الأم الرءوم، لها حضورها المميّز.

العمرية اسم جزائري أصيل وتوحي على العمار عكس الخراب، استطاعت لم شمل العائلة وتحمل مسؤوليتهم وتربيتهم، بسعة صدرها وطيبة قلبها، تتطابق دلالة الاسم من خلال علاقاتها بالمحيطين بها .

الكاهنة: هذه الشخصية التيّ أحبها "بوزيد" وأخلص في حبه لها، كانت جزء من حياته.

وتوحي دلالة اسم الكاهنة بالامتداد التاريخي الأمازيغي للمجتمع الجزائري وهو لقب أمازيغي أصيل، فهي تذكرنا بالكاهنة المرأة التّي تصدت لجيوش المسلمين الفاتحين من أجل الدفاع عن قبيلتها ولم ترضى الخضوع.

تتقاطع و تتشابه معها في كثير من الأمور تمثل نموذج المرأة المكافحة.

"ماذا تبقى منك يا امرأة تشبه "الكاهنة" القديمة..أنت صورة عنها..عن امرأة حاولت أن تبقى وفية لتاريخها ..لجبلها..."[1]

هي أيضا طبيبة ودرست علم النفس في جامعة السوربون، أرادت أن تثبت وجودها كامرأة لها وزن ثقيل، لكنه انعكس عليها سلبا وأدّى إلى موتها.

هذه هي أهم الشخصيات التّي كان لها حضور مميز عبر ثنايا السرد ، كما نجد أسماء أخرى لم يكن لها حضور كبير كرياض ومالك، العم الدهماني وليلى وزوليخة ...الخ

وأيضا وجود أسماء شخصيات أجنبية كمدام ايفات التي غيرت اسمها إلى حبيبة وهو يرمز إلى الحب والمودة ومدام سوزان ...الخ

[1]- الياميـن بن تومي، من قتل هذه الابتسامة؟ رواية، الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2011م، ص: 89.

ثالثا: علاقة الشخصية بالمكونات السردية الأخرى.

إنّ الارتباط والتناسق بين عناصر الرواية، هو الذّي يحتم عدم الفصل بين مكوناتها، لأنّ الحديث عن مكوّن يقتضي ضرورة الحديث عن مكوّن آخر، فلا بدّ من الوقوف عند العلاقة التّي تربط "الشخصية" التّي هي موضوع دراستنا بالمكونات السردية الأخرى كالراوي والحدث والزمان والمكان.

علاقة الشخصية بالراوي:

فالراوي هنا يعلن سطوته على النص الروائي منذ الوهلة الأولى للسرد ويخترق قوانين الفعل الحكائي إختراقا،فالراوي هنا يستعمل الرؤية من خلف وهذه الحالة يكون الراوي أكثر معرفة من الشخصيات فهي لا تملك أسرارا بالنسبة إليه "حيث يقف الراوي خلف الشخصيات فيشاهد الأمور على حقيقتها،ولكنّه يتحكم بها ويسيّر القصة بمشيئته،وهو مطلع على خفايا شخصياته ويعرفها معرفة تامة ويسمى هنا الراوي إذا مارس هذه السلطة بالراوي العليم".[1]

فنجد هنا الشخصية البطلة هي نفسها الساردة أو الراوي فهو يحكي عن شخصياته بلسانه هو،أي يدخل عمق نفسيتها ويكشف أسرارها.

فالسارد تحدث عن الشخصيات وما تحمله من حكاية أثرت في حياتها سلبا،صنعت منهم ضحايا لزمن انعدمت فيه الإنسانية.

حاول الراوي خلق نماذج لشخصيات متنوعة،رسم من خلالها ملامح مجتمع عاش فيه، فتحدث عن عائلته الكبيرة ورسم صورة المجتمع الجزائري،كما تحدث عن أصدقائه وجيرانه ومرضاه،فكل شخصية من هذه الشخصيات تحمل في دواخلها مأساة،وقليلا ما وقف منها موقف الحياد، فبشخصيته المميزة استطاع استقطاب كل من يعيش حوله.

أما الوجه الآخر فإن الراوي يروي فيه خطاب الشخصيات بصوته.

---

[1]- نضال محمد الشمالي، الرواية والتاريخ، عالم الكتب الحديث، الأردن،ط1،2006م،ص: 199.

وما نخلص إليه هو أن الشخصيات في رواية من قتل هذه الابتسامة؟ قدمت تقديم غير مباشر،لأن السارد هو المتحكم في مصدر المعلومات عنها،وقلما فتح لها المجال للحديث عن نفسها،وهي شخصيات عاشت في زمن العنف،فالرواية زاخرة بالشخصيات النموذجية.

علاقة الشخصية بالحدث:

لقد سعى "بن تومي" إلى إقامة علاقة سردية متفاعلة بين الشخصيات والأحداث التي تفتعلها، لذلك اهتم السارد بالحدث ليدفع بالسرد إلى الأمام من خلال العودة إلى الماضي وسرد الأحداث التّي وقعت فيه من خلال شخصياته.

فكان هو المحرك الأساس لعجلة الماضي ثمّ العودة إلى الحاضر، فكانت الأحداث غير متراتبة في خط متوازي واحد جاءت متداخلة، لأنّه يتحدث عن الحاضر ثم ما يلبث يعود إلى الماضي ليرجع إلى الحاضر مجددا، وينتقل من شخصية إلى أخرى، فهو لايفصح عنها منذ الوهلة الأولى، بل يتركها تكتشف مع تنامي السرد والأحداث، فقد جاء وصف الشخصيات وتفاعلها الداخلي والخارجي ملائم للأحداث، فارتبطت الرواية بعدة أحداث ومن أبرزها :

الحدث السياسي: وهو مقتل الرئيس "محمد بوضياف" هذه الشخصية الثورية التي ارتبط اسمها بحدث تاريخي وهو ثورة أول نوفمبر 54.

لأنّه كان من بين الأعضاء المفجرين للثورة المسلحة وكان ضمن الأعضاء الستة.

ثم يتحدث عن أحداث اجتماعية: كانت هذه الأحداث مرتبطة بطفولته وعائلته الكبيرة، لينتقل إلى الحديث عن صداقاته وجيرانه والبيئة المحيطة به.

ومع تنامي السرد يتحدث عن حدث آخر وهو الحدث الديني: والذي ارتبط بفترة العشرية السوداء وما عاناه المجتمع الجزائري من تضليل ديني فكري.

علاقة الشخصية بالمكان:

لقد لعب المكان دورا مهما في الرواية؛ حيث لاحظنا علاقة وطيدة بينه وبين الشخصيات، فقد ساهم في تشكيل رؤاها وأفكارها وسياقات حضورها وعملها.

كما بدا تأثير الوسط الجغرافي الذّي يستوطنه الراوي واضحا، فكان هناك حضور لبعض الأمكنة التّي عاشها في طفولته كواد بوسلام وشجرة الصفصاف وضريح الولي ...الخ

لأنها أماكن ذات سحر خاص يتحدث إليها يحاورها يبث لها همومه ومشاكلها يأنس إليها "أتذكر حين كنت صغيرا أخرج صباحا في ماعزنا وبقراتنا ...على طول البصر تمتد المروج الخضراء يقطعها "واد بوسلام "العتيق كالحية يلتف حول الشيء ...كانت أرضنا-مَرْجَتُنا-صغيرة ولكنّها مدهشة وجميلة"كنت أذهب إليها أختصر الأرض...أطويها ورائي وشوق عظيم يدفعني إلى قدري إلى ذلك الحنين الذّي زرع داخلي في سنوات الغربة مشاعرا من الياسمين..."[1]

فنجده حين يصف بعض الأمكنة تنم عن البساطة، فنجد الزريبة والعنزات والمروج والمرعى والواد والمنزل الكبير المصنوع من الطين...الخ، كلّها أماكن توحي على البيئة الاجتماعية الفلاحية البسيطة التّي يكدّ صاحبها من أجل الحصول على لقمة العيش.

ليصف ذلك المكان الذّي كان محتجز فيه،كان أشبه بالوكر كما جاء على لسانه،صور فيه بؤسه والظلم الذّي سلط عليه جهلا بمرضه،الذّي اجهض طفولته التي لم يعشها كبقية أقرانه فيسرد: "كانت أيام شاقة مثقلة في تلك الحجرة ...آسف الوكر...كانوا يخافون أن أعدي أبنائهم...كنت شيطانا بائسا مظلوما ...

فهمت فيما بعد أن الجهل هو من سلط علي الرقيب يصادرني إلى غرفة صغيرة مصنوعة من الطين المخلوط بالتبن... كانت لها نافذة يتسلل منها الضوء ...في البداية كانت النافذة مصدر علاقتي الوحيد بالعالم...يطل منها أبناء عمومتي المائة ونساء الاعمام ."[2]

---

[1]- اليامين بن تومي، من قتل هذه الابتسامة؟ رواية، الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2011م، ص: 15-16.

[2]- المصدر نفسه،ص: 29- 30.

من خلال هذه الأمكنة يتضح حضور البيئة الريفية الجزائرية، التّي توحي على البساطة والصبر في مواجهة مصاعب الحياة رغم شظف العيش، من أجل بناء مستقبل الأبناء.

علاقة الشخصية بالزمان:

أمّا الحديث عن الزمن، فيمكن القول أنّ الكاتب رسم شخصياته بما يوافق الوضع الزمني العام للرواية، فهي ليست ذات مستوى سردي واحد، فالراوي لا يلقي الأحداث دفعة واحدة، حيث ينطلق من نقطة واحدة ليصل إلى النهاية أي بترتيب تصاعدي، فهنا يستعمل التقنيات الحديثة للسرد، كالاسترجاع والاستباق والوقفة ليصف أمكنة عاش فيها. حيث يتلاعب بالزمان فهو يبدأ من الحاضر ليعود إلى الماضي القريب أو البعيد، حيث يغوص في أحداث عايشها في حياته وتركت أثرا بالغا فيه.

اشتغل على ذاكرته ولأنّ الشخصية البطلة هي نفسها الساردة، أبحر في عالم ذكرياته وغاص بها، ففتح حديثه عن غربته، وأيامه التي قضاها بعيدا عن قريته وعن أناس أحبهم حتى النخاع، ففجّر فيه ذلك الحنين عواطف كامنة أخذته إلى عوالم الماضي البعيد لتعود معها الذكريات المريرة:"عشر سنوات قضيتها هنا بعيدا عن كل شيء، عن قريتي التي طالما كنت أحبها...منحة أهداها لي الله...عن الدراويش الذّين أحبهم، البركة التي بقيت أمل عمري الوحيد إلى العشق... قضيت زمنا أقضم فيه مشاعري...لم أتمكّن من المغامرة...ينتابني شعور رهيب كلّما فكرت في العودة إلى الوطن..."[1]

تحدث عن أزمنة متعددة، زمن طفولته وشبابه، أيام اعتقاله ودراسته في جامعة السوربون، تحدث عن أزمنة لم يعشها هو بل من خلال ذاكرة شخصياته، كزمن الثورة المسلحة؛ حيث كانت الجزائر تحت سطوة الاستعمار الفرنسي. حاول رسم بانوراما اجتماعية مختلفة تتقاطع فيها أزمنة متعددة.

[1]– اليامين بن تومي، من قتل هذه الابتسامة؟ رواية،م س ،ص: 14.

ثالثا: أصناف الشخصيات الروائية وأبعادها.

أمام تعدد تصنيفات الشخصية الروائية، وذلك لتعدد معايير التصنيف كما سبق الإشارة إليها سابقا، فقد اخترت تصنيف شخصيات "بن تومي"في روايته"من قتل هذه الابتسامة"، على حسب تصنيف "فليب هامون" فقد ربط النمذجة الشكلية بثلاثة أنواع من الدلائل؛ منها ما يحيل على واقعية العالم الخارجي أو على مفهوم بنويّ، وقرن "ف.هامون" هذه الأنواع الثلاثة من الدلائل بثلاث فئات من الشخصيات هي:

فئة الشخصيات المرجعيّة وفئة الشخصيات الواصلة والمكررة، كما سبق أن أشرت إليها فنجد حضور مكثف لفئة الشخصيات المرجعية ووجود شخصية واصلة وهي الشخصية الناطقة باسم المؤلف مع غياب شبه تام للشخصيات المكررة.

أ-فئة الشخصيات الواصلة:

وهي علامة على حضور المؤلف في النص؛ بحيث إذا نظرنا إلى وجهة فاعليتها ودورها نجدها هي الشخصية البطلة والساردة في نفس الوقت، فهي ناطقة باسم المؤلف؛ حيث نحاول الوقوف على مقوماتها وبنيتها التكوينية، وكذا مطامحها وخيبات أملها.

-الدكتور بوزيد:

طبيب أمراض عقلية وأستاذ جامعي، فهي ليس مجرد شخصية أساسية ومحورية تدور حولها الأحداث فحسب، بل هو البطل والفاعل الأساس، لأنّه هو الشخصية الساردة في نفس الوقت، فشخصية "بوزيد" مليئة بالتناقضات تمثل بؤرة الصراع، وفي فلكها تدور بقية الشخصيات الأخرى لأنّها تتقاطع معها، فهي ذات كثافة سيكولوجية عالية، شخصية إنسانية تملك حضوة كبيرة، ذات فكر وقاد وحس مرهف، فهي متفردة عمن حولها من الشخصيات، شديدة الوعي بالواقع والمستقبل أيضا، شخصية متنامية، يتنامى وعيها وحضورها جنب إلى جنب مع تصاعد الخط الدرامي، وهي التي تدفع بالفعل إلى الأمام بشكل كبير، فهي بمثابة العنقود التي تتفرع منه كافة الأحداث، وهي شخصية استقطابية بحيث تجتمع كافة الشخصيات حولها وتبرز عن طريقها، لأن الأحداث تدور

في فلك "بوزيد"، وبالرغم من كونه طبيب نفسي فهو لم يسلم من القهر والمعاناة التي أثرت في حياته بشكل كبير.

أبعادها:

البعد الجسمي الفيزيولوجي :

"يهتم القاص في هذا البعد برسم شخصيته من حيث طولها، وقصرها ونحافتها وبدانتها، ولون بشرتها و الملامح الأخرى المميّزة"،[1]فللبعد الفيزيولوجي أهمية كبرى في توضيح ملامح الشخصية وتقريبها من القارئ.

لم يرد في الرواية وصف جسماني كثير للشخصية البطلة باستثناء أنّه شخصية ذكورية, مثل ما جاء على لسان السارد:

"ها أنا الرجل الذّي عاصر محنة الرجال من بعيد...بل أنا الرجل الذّي عاصر الجنون عن قرب..."[2]

وبعض الصفات الجسدية أيام طفولته:

" كدت أخون نفسي أكثر من مرة حين اعتقدت أنّ ذلك الوادي كان يحبني ويعشق جسدي النحيل..."[3]

ويتبع هذا بمقطع آخر أيام مرضه في طفولته فيصف حالته :

"كنت صغيرا...مازال زغب لحيتي لم يستفزني بعد بل مازال صوتي رقيقا دافئا حين خبأتني أمي في البيت...اعتقلت طفولتي المريضة...كنت نحيلا مريضا..."[4]

البعد الاجتماعي والنفسي :

---

[1]- شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة،دار القصبة ،الجزائر،دط،2009م،ص: 48.

[2]- اليامين بن تومي،من قتل هذه الابتسامة؟ رواية، الألمعية للنشروالتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2011م، ص: 9.

[3]- المصدر نفسه، ص: 19.

[4]- المصدر نفسه ،ص: 29.

يهتم بتصوير الشخصية من حيث مركزها الاجتماعي، وثقافتها، وميولها والوسط الذّي تتحرك فيه، أما البعد النفسي فيهتم بتصوير الشخصية من حيث مشاعرها وعواطفها وطبائعها،وسلوكها ومواقفها من القضايا المحيطة بها".[1]

ومن خلال رواية "من قتل هذه الابتسامة؟" يطلعنا الراوي على الشخصية البطلة ببعديها النفسي والاجتماعي، فقد أبرز الكثير من جوانبها الاجتماعية وغاص في عمق عواطفها وطبائعها ومواقفها سواء الايجابية أو السلبية من حياتها التي عاشتها.

ولأنّ الشخصية البطلة هي نفسها الساردة، أبحر في عالم ذكرياته وغاص بها، ففتح حديثه عن غربته، وأيامه التي قضاها بعيدا عن قريته وعن أناس أحبهم حتى النخاع، ففجّر فيه ذلك الحنين عواطف كامنة أخذته إلى عوالم الماضي البعيد لتعود معها الذكريات المريرة. وفي الأخير قرر العودة إلى الوطن آملا في غد أفضل لتعود ذكريات الصبى بحلوها ومرّها فيصور هذا المشهد ليعكس عمق بقاء النفس رهينة الماضي:

"لقد كتبت له موضوعا في التعبير الكتابي أصف فيه الأم كلهم تحدث عن والدته المتسلطة إلاّ أنا تحدتث عن الحب الذّي أجده في عيني أمي...ساعتها أثنى علي الأستاذ "جواد" أيّما ثناء وأعطاني قطعة طبشور أخضر اللون كان يعلم أنّه لوني المفضل ...عدت إلى البيت ولا أكاد أصدّق نفسي..."[2]

و تتنامى الذكريات في نفسه لتستيقظ من جديد، وتعود الواحدة تلو الأخرى ليروي لنا قصة مرضه ومعاناته التي جعلته يفقد طعم الطفولة المفعم بالبهجة والمرح، جعلته أسير ووحيد في غرفة بائسة بعيدا عن أقرانه، خوفا من أن تنتقل إليهم عدوى المرض فيقول:

---

[1]- شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، م.س، ص: 48-49.

[2]- اليامين بن تومي، من قتل هذه الابتسامة؟ رواية، م.س، ص : 17- 18.

"كنت صغيرا...حين خبأتني أمي في البيت، اعتقلت طفولتي المريضة...لقد اضطر أبي إلى أخذي إلى المستشفى من أجل أن يستأصلوا "الكيس المائي"من رئتي كان مرضا خطيرا ذاك الوقت...كم حرصت أمي على بقائي في البيت مخافة أن يتسرب المرض إلى باقي اخوتي هكذا كانت تعتقد...لقد قذفت داخلي غصبا مفاهيم الوحدة والسكون..."[1]

ليكمل رحلة معاناته مع المرض، لأن الجهل بمرضه هو السبب وأيضا أن عائلته بسيطة لا تستطيع دفع تكاليف العملية، لهذا انتظر أشهرا في ذلك المنفى، حتى استدعي في مستشفى الولاية الوحيد بعد عدة وساطات كثيرة، وأجريت له العملية من طرف طبيب روسي لتنجح العملية ويتم شفاؤه من هذا المرض.

لترحل هذه المحنة، وتتصادم الذكريات فقصة اعتقال طفولته ذكرته بواقعة أخرى حدثت له أيام شبابه، كان اعتقال من نوع آخر ليصور لنا هذا المشهد فيقول :"ذكرني هذا الاعتقال الطفولي بذلك العنف الذّي تعرضت له أنا شاب قبل أن أدخل الجامعة ...هكذا أنا حياتي كلها حجز...قررت أن أصلى الفجر في المسجد...نصحني والدي أن لا أذهب لأنّ الحالة الأمنية صعبة...لأجد نفسي في الحجز شهرا كاملا اتهموني أني خرجت عن الوقت المرخص به...ضربوني وأهانوني ولكنني في النهاية فهمت أنّنا نعيش زمن الجنون بامتياز..."[2]

خرج من الاعتقال وخرجت معه كلّ فرحة، صنعت منه رجل آخر، رجل على شاكلة الجليد رجل بلا ملامح، انكسر فيه كل شيء، ليعكس هذا عمق تأثره النفسي بهذه المحن والعواصف التي غيّرت فيه الكثير فعبر عن ذلك بقوله:" لم أنس إلى الآن ذلك الزمن الرهيب...كانت الحياة تصنعني على شاكلة الجليد...انسان بلا ملامح ...بلا عاطفة...خرجت من الموت إلى الحياة ولم يبقى داخلي شيء يسمى انسان..."[3]

---

[1]- اليامين بن تومي، من قتل هذه الابتسامة؟ رواية، م.س، ص : 29.

[2]- المصدر نفسه، ص: 33.

[3]- المصدر نفسه ،ص: 36.

كل هذه المحن صنعت منه شخصا غريبا، ذا عزيمة وإصرار، لا تقهره المستحيلات، فلم يؤثر هذا بدراسته ولم يمنعه من المواصلة والمضي قدما نحو تحقيق هدفه، ليثبت تفوقه بجدارة وينال البكالوريا بتقدير جيد جدا، فيصور السعادة التي غمرت المحيطين به واستبشارهم بحصوله على هذه الشهادة التي كانت حلم الجميع، فكان منهم الأهل والأصدقاء والجيران فيصور هذا المشهد:

"حين حصلت على شهادة الباكالوريا ...أعدت أمي الكثير من الكعك البلدي...وذبح والدي كبشا سمينا ...أعد وليمة لأصدقائه من القرية...كان يوما بهيجا انطلقت فيه حنجرة أمي بالزغاريد...كنت أول أبناء العائلة بل القرية من يتحصل على هذه الشهادة..."[1]

ليختار دراسة علم النفس والتخصص في الأمراض العقلية، ليصبح "بوزيد" أكبر طبيب في الأمراض العقلية فيقول: "وجدتني اقبل على هذا التخصص لكوني الأوّل في الدفعة لتمنحني الجامعة منحة علمية لإكمال دراستي في الخارج ...اخترت فرنسا ...هناك حضرت الماجستير والدكتوراه...عملت دوما على برمجة مرضاي وإسكانهم بالهدوء والرحمة أن أصنع في قلوبهم الأمل الذّي سلب منهم ...أن انحت فيهم الحب والعشق...لذلك كنت اجمعهم في لقاء أسبوعي أسميه صراحة..."[2]

جعلته هذه المهنة يتخلص من كل ترسبات الماضي ومن الظلم الذي تعرض له، بفضل كل هذه النجاحات جعلت منه انسان مميز يحضى بتقدير الجميع، ومن رحم معاناته صنع رجلا آخر ينظر إليه الكل بنظرة كلها احترام وتقدير فيقول:

"كنت حينها أعمل طبيبا في إحدى مستشفيات الأمراض العقلية إضافة إلى كوني أستاذ في الجامعة وبدأت أشق طريقا جديدة بين الجامعة والمستشفى..."[3]

---

[1]- اليامين بن تومي،من قتل هذه الابتسامة؟ رواية،م.س ص: 66.

[2]- المصدر نفسه،ص: 75.

[3]- المصدر نفسه، ،ص: 50.

ب–فئة الشخصيات المرجعيّة:

لعبت الشخصيات الثانوية أدوار متباينة داخل الرواية، وكلّها كانت على علاقة بالشخصية البطلة وتقاطعت معها، والرواية غنية بالشخصيات المرجعيّة وهي تتوافق جوانبها مع الطبقات الاجتماعية التي تنتمي إليها، والتي تحيل إلى الواقع بشكل مباشر في معظم الأحيان، وتظم "رواية من قتل هذه الابتسامة؟" عالما بانوراميا زاخرا بالشخصيات المتفاوتة الأنماط من حيث الوفاء، الخيانة، الفقر، السعادة.

"إنّ الحديث عن الشخصية المرجعية الموظفة من الخارج على النص، يقودنا حتما إلى تسليط الضوء على الشخصية المرجعية التي توظف من داخل النص وتحيل مباشرة على ماضي الراوي وتجاربه معها، وإذا استندنا إلى المقياس الزمن السردي يمكن أن نقوم بتصنيف الشخصيات بين شخصيات الخارجة عن القصة(الغائبة) والشخصيات الداخلية في القصة الحاضرة".[1]

الشخصيات الغائبة :

يطلعنا الراوي على نموذجين من الشخصيات الغائبة اللتين تركتا في نفسه أثرا بليغا وجرحا لايندمل، فقد افتتح روايته تكريما لهما وتخليدا لذكراهما، ورثى لفقدهما أيّا رثاء.

–الرئيس محمد بوضياف :

في البداية لم يفصح الراوي عن اسم الشخصية بل تركها مبهمة تكتشف من خلال تنامي السرد في الرواية.

محمد بوضياف رئيس الجمهورية السابق للدولة الجزائرية، أغتيل غدرا في إحدى خطاباته بعد رجوعه إلى أرض الوطن، وهو أحد الأعضاء الستة الكبار المفجرين لثورة التحرير المجيدة. أطلق عليه لقب "سي الطيب"، هي شخصية تاريخية بامتياز.

[1]–رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، دار مجدلاوي، عمّان، ط1،2006م، ص: 135.

البعد الفيزيولوجي :

لم يشر السارد إلى بعدها الفيزيولوجي باستثناء أنّها شخصية رجولية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معاني الرجولة، فالرجل هنا لايشير إلى الذكورة فقط بل المواقف والانجازات.

كما يشير في هذا المقطع :"ذكرتني قصتك أيها الرجل الكبير ...أيّها التاريخ..."[1]

"كان موتك عظيما أنت مثل النخل لا يموت إلاّ واقفا...هناك رجال لا يصغرون أبدا"[2]

البعد الاجتماعي :

لم يفصح السارد عن هذه الشخصية منذ البداية باستثناء أنّها قتلت كما جاء في هذا المقطع، وافتتح الرواية بحديثه عنها وحزنه لفقدها :"عدت ياسي الطيب لأنّك فقط تحب...ومن غيره أعادك في زمن مليئ بالألغام ...تعود ليستقبلك الوطن بالأكفان..."[3]

ومع تنامي السرد تتوضح ماهية هذه الشخصية ومكانتها وبعدها الاجتماعي، ومن خلال هذا المقطع يتضح أنّها شخصية ثورية :"لقد تنفست الحب في أعالي الأوراس علمك الجبل كيف يكون العاشق دوما صلبا ومخلصا...وفي القمة..."[4]

ويواصل السارد حديثه بالرغم من أنه لم يعرفها عن قرب، لكن اسمها كتب على صفحات التاريخ بحروف من ذهب فاستعاد ذاكرتها من خلاله هو :"ها أنا يا سيدي أقف على قبرك ...أنظر إليه لأستعيد ذاكرتك...لازلت كبيرا يا سيدي ...أعود بك إلى أيامك حين كنت شابا تُكتبُ أسطورة على جرائد الاحتلال...كم مرّة حاول المستعمر قتلك ولكنّهم لم يصلوا إليك...كان مجرد ذكر اسمك يزلزل القادة ..."[5]

---

[1]- اليامين بن تومي، من قتل هذه الابتسامة؟ رواية، م.س، ص : 7.

[2]- المصدر نفسه، ص: 55.

[3]- المصدر نفسه ، ص: 8.

[4]- المصدر نفسه، ص: 8.

[5]- المصدر نفسه،ص: 53.

ومن خلال هذه المقاطع يتضح أنه من أكبر القادة الذين شاركوا في تفجير ثورة أول نوفمبر 54، سبع سنوات ونصف من الكفاح والنضال كانت كافية لتستعيد الجزائر حريتها، وحين علم أن وطنه بحاجة إليه عاد، ولم يكن يعلم أن نهايته ستكون على أرض الوطن. ويواصل السارد حديثه عنها ويرى فيها شخصية مملوءة بالشهامة، لأن الوطن عندهم قبل كل شيء. وفي هذا المقطع يتضح اسم الشخصية على أنّها الرئيس الراحل

محمد بوضياف : " لاأدري ما السبب الذّي يجعلني أجيب كل من يسألني عن اسمي أن أقول: بوضياف بوزيد...لقد سألت أبي أكثر من مرة قائلا: هل تكون واحدا من العائلة ...عفوا استغفر الله...هل نكون نحن من عائلتك لأنّنا نملك اللقب نفسه؟.[1]

–عبد القادر بن النوي :

الدكتور الفيزيائي الكبير وعالم الذرة، ابن مدينة قسنطينة العريقة، الذّي رجع بدوره إلى أرض الوطن ليستثمر فيه علمه، ويحاول النهوض به،لكنّه انتحر بعدما تنكر له نفس الوطن، وكان لموته أثرا كبيرا في نفس الكاتب.

البعد الاجتماعي :

يفتتح الراوي حديثه عنها بأنه قرأ مقالا في احدى الصحف، هذا المقال الذّي سلب النوم من جفونه وقهره: "ذكر المقال أن الدكتور "عبد القادر بن النوي" الفيزيائي الكبير وعالم الذرّة الجليل انتحر من على جسر قنطرة سيدي راشد العريقة...ذهبت لقسنطينة لأعرف الحقيقة كاملة..."

ثم يتحدث السارد عن ذكرياته مع هذا الصديق فيقول: "لم تقتلك ياصديقي سوى تلك العبقرية التّي بنيتها على مدار السنين الطويلة...كنت تحلم أن تستفيد قسنطينة من أفكارك...منذ مدة وهو ينتظر العودة..."[2]

---

[1]– اليامين بن تومي، من قتل هذه الابتسامة؟ رواية، م.س، ص: 57.

[2]– المصدر نفسه، ص: 12.

ويواصل حديثة عنها وبما كانت تفكر : "قال لي: كم أتمنى العودة...أتجول في الحواري والزناقي العريقة...أعود لأصنع أفكاري هناك لأجعل قسنطينة متلألئة مثل باريس...سأجعل علمي لقسنطينة...وإن لم يقدروني سأرمي نفسي من على قنطرة سيدي راشد..."[1]

لقد انتحر لأنهم تنكروا لكل أبحاثه ومشاريعه، وكره أن يكون عقله ملكا لفرنسا، فلقد كان قسنطيني الميزاج لذلك دفنه هناك.

الشخصيات الحاضرة :

تعتبر شخصية "الباي" و "رامي" أكثر شخصيتين ذكرا وحضورا من خلال السارد، وأشدّ تأثيرا في الشخصية البطلة، فالباي يمثل نموذج الصديق الوفي المخلص، أما رامي فيمثل نموذج الصديق الخائن الذي يتنكر للمعروف.

–الباي : رجل مجنون تربطه علاقة قوية بالشخصية البطلة "بوزيد" كثيرا ما كان يأنس إليه ويحاوره ولايعده مجنونا كما ينظر إليه جميع النّاس، يظن الباي أنّه المهدي المنتظر، وكثيرا مايغرّد على هذه النغمة، لجنونه قصة طويلة، فهو يمثل نموذج الشخصية اللقيطة التي فقدت الحبّ والحنان، فهو شخصية حبلى بالانفعالات والتوترات النفسية والتغيّرات السيكولوجية أكثر من غيرها.

البعد الفيزيولوجي :

يتعرض السارد إلى ذكر بعض الصفات الجسدية للباي، فقد جاء على لسانه مايلي:

"لاحظت أن شعره هذه المرة زاد كثيرا عن حدّه كانت تصدر عنه رائحة كريهة يبدو عليه أنه لم يستحم مدة تزيد عن العام رجلاه حافيتان وثيابه بالية..."[2]

ليكمل السارد حديثه عنه، بأنه أخده إلى الحلاق ثم الحمام واشترى له ثياب جديدة، ليسرد الحلاق على "بوزيد" قصة الباي.

---

[1]– اليامين بن تومي، من قتل هذه الابتسامة؟ رواية، م.س، ص: 13.

[2]– المصدر نفسه، ص: 79.

فيقول السارد في هذا المقطع: "قال لي: أتعلم يابوزيد أن الباي الذي تشاهده على هذه الحالة، كان أفضل فتيان زمانه بهاءا ووسامة...كان بهيا ...كانت النساء تتطلع به وهنّ حوامل...كان شعره طويل ومتناسق...عيناه الواسعتين...لقد كان آية في الوسامة..."[1]

البعد النفسي والاجتماعي:

يستهل السارد حديثه عن هذه الشخصية المجنونة وعلاقته بها، فهو لم يفصح عن كينونتها منذ البداية بل تركها تكتشف عبر الصفحات مع تنامي السرد:

"لا أذكر متى وكيف عرفت "الباي" كان هنا قبل أن اولد...تناقل سكان القرية كثيرا من القصص عنه ...وهو المسكين دائما في عزلته يهرب من الناس...ليس له من دنياهم إلاّ أن يأكل ويدخن ثم يأخذ طريقه صوب مسجد القرية وحيدا تعيسا بائسا..."[2]

ويواصل السارد حديثه عن علاقته به، أنّها كانت تتراوح بين المصالحة والخصام، صار بهجته ومتعته، لعلّه يحظى ببعض البركة منه، ويتساءل في نفسه لماذا كل هذه المأساة التّي يعانيها الباي ؟ كثيرا ماحاول البطل مساعدته، أن يبني منه انسان يتنفس الحياة من جديد، أن يدخل على قلبه الفرحة والسرور، لكنّه وجد الصد من والد الباي، أراد والد الباي أن يبقى ابنه كما هو، أردف حديثه عن عمق العلاقة التي كانت تربطه به، برغم فارق السن الذي بينهما فقد كان الباي يكبره بعشرين سنة.

ومع تنامي السرد يوضح الراوي سبب جنون الباي من خلال هذا المقطع :

"لم أنس "الباي" كيف لي أن أنساه وقد أصبح احدى مرضاي...لم يولد مجنونا ...بل كان نجيبا في دراسته محبا للحياة ...كانت وسامته تذهل جميع الجيران..."[3]

---

[1]- اليامين بن تومي، من قتل هذه الابتسامة؟ رواية، م.س، ص: 80.

[2]- المصدر نفسه، ص: 25.

[3]- المصدر نفسه، ص: 163.

"لقد أحبّ ابنة عمته حباّ كبيرا...منذ أن كان صغيرا...كان يقال "الباي لسعاد" لكنه حين شبّ...أخذت سعاد طريقا آخر...أحبت شابا آخر...وبقي هو أسير الماضي الذي عاشه... لم يعشق إلاّ سعاد..."[1]

ابنة عمته قابلته بالقسوة، كان سبب جنونه هو حبّه لها صار يميل إلى السكون، لم ترحمه لأنها لم تكن تتصور بأن تكون زوجته.

"تركته للعزلة والسكون...لقد أعياه الحب...أتعرف طيلة عام كامل وهو نائم على فراشه في البيت أصيب بشلل تام..."[2]

صار وحيدا عاش الحرمان من عائلته ففي هذا المقطع يوضح السارد عمق المعاناة التي يعيشها "الباي".

"علمت أن عائلته...ترميه في سرداب أشبه بحم الدجاج...تجمعت فيه قاذورات البيت...ذهبت إلى بيتهم يوما...دخلت على حين غفلة...وجدته هناك كالجرد...وحيدا يئن في أوجاعه...بكيت كثيرا..."[3]

ليوضح حقيقة "الباي" وكيف جاء إلى هذه الحياة، مأساة الباي ليست مع الحب بل مع أهله الذين تربى بينهم ليروي السارد حكايته : "كان ولدا غير شرعي، كان ابن زنى...غلطة ارتكبها والده قبل الزواج وادعى والده أنه تزوج في الغربة من إمرأة، ماتت بعدما ولد، وعاش الباي مع زوجة أبيه وإخوته الجدد...لكن زوجة الأب لم تقبل الابن فتركته...وحيدا... لم يجد من يحبه... بقي هناك صامتا إلى الأبد يقضم كره هؤلاء له ...عاش طيلة هذه السنوات يرقد في حضن حقيقة مرّة...حتى أن اسمه غير مكتوب في الدفتر العائلي..."[4]

---

[1]- اليامين بن تومي، من قتل هذه الابتسامة؟ رواية، م.س، ص: 163.

[2]- المصدر نفسه، ص: 168.

[3]- المصدر نفسه، ص: 170.

[4]- المصدر نفسه، ص: 171.

ليختم السارد قوله عن شخصية "الباي" :"وفهمت لماذا بقي "الباي" وحيدا يخبئ التغيير داخله، مازال المهدي النتظر حلمه المنشود"[1]

–رامي: هي الشخصية الثانية الأكثر ذكرا في الرواية، إذ له علاقة كبيرة بالرواي تجاوزت حدود الصداقة، فهو يمثل بؤرة الصراع، هو نموذج الصديق الذّي غدر بصديقه من أجل المصلحة، كان يعمل نادلا في المقهى التي كان يرتادها الراوي وهناك تعرف عليه وتقرب منه، واستمع لهمومه ومشاكله، فساعده في الحصول على وظيفة محترمة.لكن بعد أن توظف تنكر له ولم يعد يسأل عن صديقه وابتعد، بعد أن كان يظن الراوي أنّه صديقه وكاتم أسراره لأنّه كثيرا مافتح له قلبه، لأنه لم يفتحه لأحد غيره.

البعد النفسي والاجتماعي :

بهذه العبارة استهل الراوي حديثه عن صديقه "رامي" وعبر عن عتابه ولومه له وعن نكرانه : "أنت تعلم أكثر من غيرك أنّني مررت بتجارب قاسية في حياتي...كيف قررت إهانتي ...أهكذا بهذه البساطة يمكن لصديق أن يجرح صديقه كم كان الأمر صعبا بالنسبة لي... لم تكن سوى نموذج بسيط لعالم يعيش النفاق والكراهية..."[2]

ويفهم "بوزيد" حقيقة اقتراب رامي منه : "خذلتني لأنني أحسست بقربك مني، أردت أن أكشف لك عن بعض المخبوء داخلي ...المتواري في أزمنة طفولتي...إلاّ أنّك كنت أنانيا، كنت فقط تريدني زيرا لمشاكلك، أخلّصك من بعض الوجع الذّي تشعر بيه... لم أكن في نظرك سوى جرعة دواء..."[3]

ومع تنامي السرد يوضح الراوي حقيقة العلاقة التّي كانت تربطه برامي،ليدخل في تفاصيل كيفية لقاءه به : "أذكر موعد لقيانا ... لم يكن أكثر من قهواجي بائس يسكنه القنوط، أجلس في ذلك المكان وصوت شحيح من القهواجي الذي لم تكن تربطني به سوى حاجتي إلى فنجان القهوة،يقترب منّي وفنجان القهوة بيده..."[4]

---

[1]– اليامين بن تومي، من قتل هذه الابتسامة؟ رواية، م.س، ص: 184.

[2]– المصدر نفسه، ص: 22.

[3]– المصدر نفسه، ص: 23.

[4]– المصدر نفسه، ص: 44.

في البداية كانت الكلفة بينهما، وشيئا فشيئا زالت، و صار "رامي" يقترب من الدكتور "بوزيد" ويحكي له عن همومه ومشاكله، فيستمع له بصدر رحب، فغرق كلاهما في مشاكل صاحبه، فكان يهاتفه كل حين وصار ملاذه الوحيد، تطورت العلاقة بينهما، وصار يلازمه كثيرا حتّى صار يقرأ معه كتبه التي تحكي عن عالم المجانين، أدخله عالمه الخاص، لأنّ "رامي" لامس الانسانية في "بوزيد".أحبّه رامي كثيرا لأنه وجد فيه الاختلاف، ووجد "بوزيد" فيه الأنس لأنه أخرجه من تجربته القاسية مع الصمت، أحبّه بصدق أحس فيه الأخ والابن، وكثيرا ماكان رامي يأنس إليه ويرتمي في أحضانه ويبكي ليخرج حزنه الدفين، استطاع "رامي" الاستحواذ على اهتمام "بوزيد"فحكى له قصة معاناته مع عمه الذي يعامله كأجير، ويقرر البطل مساعدة "رامي" في الحصول على وظيفة محترمة في القطاع الخاص فيقول : "لقد أقنعته بأن يعمل لدى القطاع الخاص وفعلا وجدت له عملا مناسبا...ولم تمض عليه السنوات القليلة حتى صار "رامي" مهما في عمله، لكن ينقصه على النجاح إلاّ شيئا واحدا، أن ينسجم مع عالمه الجديد"[1]

انصرف رامي لصالح عمله الجديد ولم يعد يسأل عن صديقه بعد أن استطاع أن يفتح أقفال قلبه وعرف ما بداخله لأنه يعرف أنّ علاقاته قليلة بحكم أنه طبيب في الأمراض العقلية، استطاع أن ينير منطقة ما مظلمة في حياته، أما "رامي" ينظر إليه أنّه مجرد حل لمشاكله، هناك في عمله الجديد نسي "رامي" كلّ شيء، لقد خرّب كل معاني الصداقة في نفسه، لكن طعنة فراقه كانت قاسية لأنّه كان صادقا معه إلى أبعد الحدود، رغم كل شيء مزال ينتظر عودته.

لكن "رامي" سافر بعيدا ولم يعد : "ومازلت انتظر "رامي"من جديد ليفهم سره الذّي هرب منه، أخاف أن يتحول داخلي إلى مجرد ذكرى..."[2]

تحدث السارد عن عائلته الكبيرة عن والديه وعن أعمامه وأبناء عمومته وعن العلاقة التي كانت تربطهم وعن الترابط الأسري الذي كان بينهم .

---

[1]- اليامين بن تومي، من قتل هذه الابتسامة؟ رواية، م.س، ص: 48.

[2]- المصدر نفسه، ص: 184.

شخصية الأبوين :

من خلال الرواية نلحظ عدم حضور شخصية الأب بشكل كبير باستثناء بعض المقاطع، أمّا شخصية الأم فكان لها حضور كبير.

–الأم : تمثل نموذج المرأة الرؤوم المناضلة في تربية أبنائها والتضحية من أجلهم،الكل يناديها "بمّا العمرية" لأنها أرضعت جميع أبناء العائلة، تمثل الصدر الرحب للجميع شخصيتها قوية وصبورة، لم تتوانى في مدّ يد العون للكل، أصلها أمازيغي .

–الأب : يمثل دور الفلاح البسيط الذّي يعمل في مزرعته من أجل كسب لقمة العيش. لم ترد تفاصيل عن اسمه لأنه يمثل دور الشخصية البسيطة التّي تبقى على حالها من البداية للنهاية.

البعد الفيزيولوجي :

في هذا المقطع يورد الراوي بعض اوصاف والديه :

"قبل الفجر ينهض يلبس شاشه الأصفر المخطط بخيوط سوداء...لزالت صلعة رأسه البريئة عالقة بذهني إلى الآن...ليجد أمي ينظر إليها نظرة ثاقبة كلّها شوق وحب...كانت ترتدي بنوار من الكتان وتنتعل حذاءا كنّا نسميه "شعشبونة"...كلّ صباح تغسل وجهها القمري تخرج من صندوقها العجيب مرود الكحل ...تكتحل بخط رفيع...ليصبح لها جمال غريب...كلما رآها والدي أشعر في عينيه بشوق رهيب..."[1]

البعد النفسي والاجتماعي :

يستهل الراوي حديثه ويرحل بنا إلى الماضي ويتحدث عن والديه عندما كان صبي فيسرد: "كان والدي فلاحا صغيرا يرتمي كل صباح في حضن مزرعته...تنصرف أمي إلى الزريبة تحلب العنزات لتعود بالحليب الذّي لزالت لذّته عالقة بلساني..."[2]

---

[1]– اليامين بن تومي، من قتل هذه الابتسامة؟ رواية، م.س، ص : 16.

[2]– المصدر نفسه، ص: 16-17.

إلاّ أن حضور الأم كان طاغيا وأشدّ تأثيرا في نفسية الكاتب من شخصية الأب وأكبر عمق ليرسم صورة عن والدته، إنّها مثال الأم المثالية التيّ تحمل مشاكل الجميع، إنّها مصدر العطف والحنان لكلّ من يقصدها، فلم تبخل به على أحد من عائلتها الكبيرة.

"لكم صدرت تلك المرأة الحنان حليبها...لقد أرضعت أبناء عمومتي كلّهم بلا استثناء، يناديها الكل: بماما الكبيرة...الكل يحبها ويحترمها...كان حجرها دافئا وحضنها رحيما...كانت أمل كل يتيم...نهارها تعب وجهد وليلها سهر على اليتامى..."[1]

ومايزال عطاؤها مستمرا، بالرغم من نحافتها وضعفها، احتضنت الجميع بقوة، تمسح دموع المكلوم وتسلي الهموم وتصل الرحم تقوم بجميع الأدوار، ومع تنامي السرد يفصح عن أصل أمّه الأمازيغي فهو مقسوم من جهتين عربي من أبيه وأمازيغي من أمّه فيسرد: "أمّي تلك المرأة العجيبة التي كانت تحن إلى جبل الزيتون الذّي انحدرت منه...ومازالت لكنتها الأمازيغية الجميلة ترسم نصفي الآخر...لم ألاحظ أبدا أنّها غريبة في مجتمع أبي العربي بل أحبّوها وجعلوها على عرش العائلة...يناديها الجميع ب"مأ العمرية..."[2]

أمّا شخصية الأب فكان قليل ظهورها باستثناء بعض المقاطع،لم يكن حضورها قويا وهذا بسبب ضعف وفتور العلاقة التّي كانت تربطه بوالده فيقول : "لأول مرة يطفئ أبي داخلي المعاناة...كان في البداية من سبب مأساتي...لأوّل مرة أشعر أنّني ظلمت أبي كثيرا...كيف له أن يفهمني وهو الذّي طالما اضطهدني...لقد كان سكوتي الانتقام الوحيد اتجاهه..."[3]

[1]- اليامين بن تومي، من قتل هذه الابتسامة؟ رواية، م.س، ص: 86.

[2]- المصدر نفسه، ص: 90.

[3]- المصدر نفسه، ص: 84.

–العم علي : فهو يمثل نموذج الشخصية المضحية، اعتنى باخوته وأبنائهم تنفيذا لوصية والدته، فكان بمثابة الأب بالنسبة إليهم، أفنى عمره من أجل تربيتهم وضحى بزهرة شبابه من أجلهم، كان يعمل حارسا في محطة سكك الحديد القريبة منهم، تزوج على كبر لكنّه لم يستطع الانجاب.

البعد النفسي والاجتماعي :

يبدأ السارد حديثه عن عمه فيرحل من حاضره إلى ماضيه :

"مازال عمي "علي" رجل كبير ...يبدو أن صراع الأولاد مازال يركض داخله...لقد جاء بولد من الشؤون الاجتماعية...سفرياته الكثيرة إلى الأطباء في فرنسا نزعت من قلبه كل أمل في الانجاب لذلك قرر تربية ولد..."[1]

ويواصل السارد حديثه عن عمه وعن ماضيه، ويذكر يوم طلب من اخوته الزواج، فاستغربوا أمره، لأنّهم ظنوا أنّه صرف نظره عن هذا الموضوع، فأراد أن يبيّن لهم السبب :

"ها أنتم متزوجون بين ابنائكم...لقد أتممت الأمانة على أكمل وجه...لا أتصور أمي إلاّ راضية عنّي في رقدتها...لقد بلّغت الأمانة إلى آخر حد...ربيت ابناءكم الذكور وزوجت بناتكم...أريد فقط أن أعيش باقي أيامي بسلام..."[2]

ويورد السارد أنّه هو السبب من فتح قلب عمه للزواج، بعد زواج عمه "علي" تغير الأمر كثيرا وتغيرت حياتهم، لقد ابتعد عن الجميع وقرر الانعزال عن العائلة الكبيرة.

تزوج من فتاة من المدينة، لم يكن أحد يتصور أنّه سيخون العائلة، حتى أخوه "محمد" لم يكن موافق على هذا الزواج. وينتقل بنا الراوي إلى عالم الوصف كيف كانت حياتهم بسيطة وكيف تغيرت بعد زواج عمه "علي" إلى حياة تشبه حياة أهل المدن :

---

[1]– اليامين بن تومي، من قتل هذه الابتسامة؟ رواية، م.س، ص: 85.

[2]– المصدر نفسه، ص: 106.

"كنّا عائلة ريفية بسيطة ونحن نعرف أن بنات المدينة ترفض حياتنا، نحن أهل الريف حياتنا صعبة، منازلنا أشبه بالأكواخ وطعامنا أقرب إلى طعام الدجاج والحيوانات...قرر عمي "علي" بيع كلّ شيء الأغنام الماعز والأبقار...باعوا كل شيء...ما فوق الأرض وما تحتها...وبنينا منازل جديدة واشترينا تلفزيونات وافرشة ولوازم الحياة الجديدة...أصبحنا نشبه أهل المدن في حياتهم...بعد أعوام صار عمي "محمد" لايكلم عمي "علي" بحجة أنّ زوجته هي من أشارت عليه في تغيير حياتنا لقد كرهتها كل العائلة..."[1]

–العم الصغير: رجل مجنون له ثلاث بنات أكبرهنّ "زوليخة"، كان امام وخطيب في المسجد قبل أن يجن، يعتبر شخصية تاريخية شارك في الثورة، عند اكتشاف أمره من قبل السلطات الفرنسية قامت بتعذيبه واستنطاقة ليخبر عن اسرار الثورة، فأدى هذا إلى جنونه.

البعد النفسي والاجتماعي :

يبدأ السارد حديثه عن عمه "الصغير بقوله :"كان عمي الصغير طول عمره وهو يبلس قفطان وعمامة الأزهر لقد أشاع بين سكان القرية أنه درس في الزيتونة ثم سافر إلى الأزهر وتعلم علوم الدين..."[2]

ثم يصور لنا السارد بعض عوالم لحظات جنون عمّه الصغير : "وأنا أشاهد عمي الصغير يتحلل من رباط البشرية يصيح في حوشنا الكبير...ويقول للجميع : سأقتلكم أقتلك أنت وحدك..."[3]

ويعود بنا السارد إلى ماضي عمه " الصغير" ويذكر أنه منذ أن كان صغيرا وهو يرى عمه مجنونا، إلاّ أنّ "بوزيد" لم يكن يخاف عمه عندما تصيبه النوبة فيبقى بجانبه لهذا قرر دراسة الطب العقلي من أجله.

---

[1]– اليامين بن تومي، من قتل هذه الابتسامة؟ رواية، م.س، ص: 108.

[2]– المصدر نفسه، ص: 73.

[3]– المصدر نفسه ،ص: 116.

لكن الجنون سرقه قبل أن يكمل دراسته حول الطب العقلي، وكثيرا ما كان يتساءل عن سبب جنون عمه، هل ولد هكذا أم أنّ لجنونه سبب. وفي الأخير يعرف "بوزيد" سبب جنون عمه عن طريق ابنته "زوليخة" في احدي لياليها الشهرزادية حيث قصّت عليهم سبب جنون والدها فيسرد على لسانها:

"كان والدي يشتاق العلم والعلماء...سافر إلى الزيتونة...ثم عاد على أمل أن يساعد والده بقليل من المال يسافر إلى جامع الأزهر...لكن والده منعه لأجل أن يساعده في تجارته...مكث والدي طائعا لوالده ولكن ظروف التجارة لم تكن على ما يرام...رحل بعدها إلى فرنسا وهناك اشتغل في أعمال كثيرة...أصبح فيما بعد إماما للجالية الجزائرية والعربية...وبدأ مع غيره من الجزائريين يخططون لإعلان الثورة...أصبح ممثلا لجبهة التحرير في الغربة...عذّب أكثر من مرّة صودرت كتبه الكثيرة..."[1]

ثم يكمل السارد ويحكي كيف قبض عليه على لسان ابنة عمه "زوليخة"

"وكان الإمام الوحيد الذي من حقه الافتاء...كان أبي رجلا عظيما...حين اعتقلوا في العاصمة الجزائر قائدا بحوزته أوراقا رسمية كانت موجهة إلى الخارج...إلى منسق جبهة التحرير بالخارج...كان اسم والدي "الصغير بن علي" هو ذلك القائد...ألقي عليه القبض...عذبوه بعدد الجزائريين في فرنسا..."[2]

فيصف لحظات تعذيب عمه على لسان ابنته: "جعلوه على قفاه وجعلوا الأغلال في رجليه ويديه ورقبته بعد أن وضعوا الكهرباء في كامل جسمه...تركوه مدّة شهرين كاملين على تلك الوضعية...وضبطوا أنبوب الماء في شكل قطرات متقطعة ...تسقط على الجبهة...تسمى هذه الطريقة التدمير الذاتي...حيث تختل مراكز الأعصاب، منذ تلك اللحظة ووالدي على هذه الحالة فقد السيطرة على كل شيء..."[3]

---

[1]- اليامين بن تومي، من قتل هذه الابتسامة؟ رواية، م.س ، ص: 175.

[2]- المصدر نفسه ، ص: 176.

[3]- المصدر نفسه، ص: 176- 177.

–العم محمد: شخصية مجاهدة تحمل همّ التاريخ، له أنفة كبيرة لم يرضى أن يأخذ منحة المجاهدين، لأنه شارك في ثورة التحرير، يملك بعض أسرارها التي اعترف بها لابن أخيه، له خمسة أولاد من زوجته الأولى التي ماتت وهي تنجب ابنها الأخير، ثم تزوج من إمرأة ثانية وأنجب منها.

البعد النفسي والاجتماعي :

يرحل بنا الراوي إلى الكشف عن كوامن هذه الشخصية، يبدأ الرحلة من حاضرها فيقول: "تكاثرت مشاكل عمي "محمد" خاصة بعد أن تزوج من فتاة صغيرة أنجبت له أبناء جدد، وصارت تعامل أبناءه الذكور من زوجته الأولى معاملة سيئة..."[1]

ثم يرحل بنا إلى ماضي الشخصية فيكشف حقيقتها كما جاء على لسان السارد عبرها :

"أنا المجاهد الذّي لم أستفد يوما من منحة المشاركة في الثورة التي يتهافت عليها البعض...كم سيعطونني مقابل تلك السنوات بل كم رشوة سأتقاضى عن ذلك التاريخ...لايستطعون أبدا أن يكمموا فمي...أنظر إلى مكتب المجاهدين أقسم أنّني لاأعرف واحد منهم أهدى نفسه لهذا الوطن..."[2]

ليواصل حديثه عنها وعن نضاله في صفوف جيش التحرير قائلا على لسانها :

"لم أكن مثلهم يوما لأنني لا أبيع مبادئ..أنا الذي حملت سرّ تاريخ كبير صنعته رجلاي...حين كنا نرتحل مسافات بعيدة نحمل السلاح إلى الولاية الثانية والثالثة...كم اخترقنا الرصاص وكم رجلا بحجم الجبل مات أمامنا..أتعرف لماذا لم أساوي أبدا جهادي ببعض الدراهم لأنني أعطيت العهد أنني سأكون فداء للوطن ولن أبيع نفسي ما حييت لشهوة يقال أنّها عرفان لما قدمناه..."[3]

---

[1]– اليامين بن تومي، من قتل هذه الابتسامة؟ رواية، م.س ، ص: 108– 109.

[2]– المصدر نفسه، ص: 149.

[3]– المصدر نفسه، ص: 150.

–الكاهنة: وهي المرأة التيّ أحبّها البطل، كانت ناشطة سياسية، شبهها بالكاهنة القديمة هي ابنة "تيزي وزو"، امرأة مثقفة درست في جامعة السربون في كلية التربية، أعدت أطروحة حول الأطفال التوحديين ومشاكلهم النفسية والتربوية، كانت زميلة لبوزيد أيام دراسته بفرنسا، اسمها الحقيقي "حنان الصوشي"، انتحرت في النهاية.

البعد النفسي والاجتماعي : يستهل السارد حديثه عن هذه الشخصية بقوله :

"ها أنا أتعرف إليك يا "الكاهنة" يا بنت تيزي وزو الجميلة..لم أحسب أنك تحملين مثلي تناقضا يشبه وجه التاريخ..قلت لي يوما: ماذا علي أن أكون..أمازيغية أم عربية.. بل قلت لك ..اطرحي سؤالا معاكسا للسياسة..."[1]

ويواصل السارد حديثه عن العلاقة التي كانت تربطه بها وعن عمق حبّه لها فيفجر عواطفه ويحكي عن شعوره اتجاهها : "أحببت فيك طيبتك..بل طبيعتك البدوية التّي تشبهني في كل شيء...أحببت كتاباتك وثقافتك..تمنيتك أما لأبنائي...أنت يا الكاهنة امرأة من عجين خاص..وحدك من جعلت الرجل النائم داخلي يصحو، وحدك من انتشلني من عمق الهزيمة...جعلتني انسى العشق الأول..."[2]

ثم يتحدث عن ميولاتها السياسية : "حين انضممت إلى ذلك الحزب الذي يقال أن ميولاته متطرفة...ها أنا أصاب بعدواك السياسية..."[3]

ثمّ تعود به الذكريات ألى الماضي البعيد، عندما عثر على ملف كان له علاقة بها، ويفصح عن كيفية التقاءه بها في باريس : "سرحت بعيدا إلى أيامنا في جامعة السوربون...كنت طالبة في كلية التربية...تعدين أطروحة حول الأطفال التوحديين ومشاكلهم النفسية والتربوية...وكنت أحضر الماجستير في الطب العيادي...وجدتك صدفة ولكنك فقط مجرد ذكرى فلقد قتلوك أيضا بحكم القبيلة..."[4]

---

[1]– اليامين بن تومي، من قتل هذه الابتسامة؟ رواية، م.س، ص: 89.

[2]– المصدر نفسه، ص: 90.

[3]– المصدر نفسه، ص: 91.

[4]– المصدر نفسه ، ص: 145.

ومع تنامي السرد يفصح عن حقيقة الكاهنة واسمها الحقيقي وعن نهايتها المأساوية وذلك بعد التقائه بأخيها الذّي كان يدرس ملفا عنده فيقول له : "أتعلم أنا أعرف حنان الصوشي..كانت زميلة لي في قسم الدراسات النفسية بجامعة السوربون بفرنسا..نظر باهتمام أكبر...حقيقة...لكن الدكتورة حنان ماتت منذ سنتين قتلها أحد مرضاها ...ولكني سمعت أنّها انتحرت ...قال غاضبا : ولما تنتحر امرأة متدينة؟...لأنّكم فرضتم الزواج عليها بالقوة...قال ..صحيح لقد أردنا أن نجنبها كلام الناس..."[1]

–مدام ايفات: تمثل نموذج المرأة الأجنبية تزوجها موح الجزائري وأنجب منها، جاءت للجزائر، وتأقلمت مع المجتمع الجزائري، لكن زوجها غدر بها، فكان غدره طعنة غرست في صدرها، اعتنقت الاسلام وصار اسمها "حبيبة" حتى سمت أحد أبنائها "اسلام"، كانت تعتبر "بوزيد" كابنها "رياض" لأنّه كان صديقه، مرضت بسرطان الثدي وتوفيت.

البعد النفسي والاجتماعي :

تلوح بالراوي الذكريات ليسرد حكاية جارته مدام "ايفات" التيّ كانت بمثابة والدته فيقول: "لم أنس إلى الآن ذكرى "مدام ايفات" التي كان يناديها سكان القرية "حبيبة" في المدة الأخيرة أصبحت تصلي، أشهرت إسلامها قبل أن تتنكر لها الحياة،لقد أعجبتها حياتنا كثيرا، تلك المرأة التّي جاءت مع عشيقها تزوجها باسم الإسلام..."[2]

ويستمر الراوي في سرد بعض التفاصيل عن حياتها : "لقد سمّت حبيبة أحد أبنائها "إسلام"..بعد سنوات دخل "موح" زوج حبيبة السجن قالوا أنّه تزوج من امرأة أخرى في السر واتهموه بقتلها...عاشت حبيبة أيام صعبة لكنّ أهل القرية لم يتخلوا عنها بل وقفوا بجانبها وقفات متكررة..."[3]

---

[1]– اليامين بن تومي، من قتل هذه الابتسامة؟ رواية، م.س ، ص: 180.

[2]– المصدر نفسه، ص: 63.

[3]– المصدر نفسه، ص: 64.

يصدم الراوي بعد أن عرف مرض مدام "ايفات" ويحكي عمق مرارة تلك اللحظة التي عاشها مع ابنها "رياض" فيقول : "قال لي في يأس بعد أن تصببت دموعه: لقد أخبرنا الطبيب أنّها مصابة بسرطان الثدي...سيأخدها في أي لحظة...ازداد نحيبه..اقتربت منه..ضممته إلى صدري..."[1]

ليواصل حديثه عنها: "بكيت معه بكاءا مرا...فهمت أن المسكينة لم تهضم خيانة "موح" فانحدرت نحو الموت..ماتت ايفات في اليوم الذّي أعلن فيه رئيس الجمهورية توقيف المسار الانتخابي..."[2]

–رياض : يعتبر أعز صديق للشخصية البطلة، عاش معه أيام لا تنسى، هو ابن مدام ايفات، أحب فتاة اسمها "حياة"ثم تركها، أصبح مدمن مخدرات بعد سجن والده وموت والدته، رحل إلى فرنسا مع اخوته ثم نيوزيلندا لتنقطع اخباره عن صديقه .

البعد النفسي والاجتماعي :

في هذه المقاطع يورد الراوي بعض التفاصيل عن هذه الشخصية فيقول: "قلت لها أنا لم اتركه..أصبح لايطيق أحد بجانبه..يخرب حياته بطريقة بشعة إنه لايصحو أبدا ...أصبحت المخدرات ملاده الوحيد..حتى "حياة" الفتاة التّي أحبها تركها لمصيرها..."[3]

ثم يروي عن عمق العلاقة التّي كانت تربطه برياض فيقول : "ربطتني بابنها رياض علاقة صداقة قوية...كان ينام معي في البيت...كان يقول لي: بيتكم فيه سكينه رائعة...على الرغم أن منزلم الافرنجي كان أفضل إلاّ أن الحب الذّي تنفسه هنا ألهاه عن أسرته..."[4]

لتعود به الذكريات مرّة أخرى مع الصديق ويكمل حكايته :

---

[1]– اليامين بن تومي، من قتل هذه الابتسامة؟ رواية، م.س، ص: 65.

[2]– المصدر نفسه، ص: 66.

[3]– المصدر نفسه، ص: 62.

[4]– المصدر نفسه، ص: 63.

"لقد قرر رياض السفر إلى فرنسا...قال لي: لم أعد أتصور نفسي في هذا البلد الذّي ابتلع أمي سجن أبي...حتيّ عندما سافرت لفرنسا لأكمل الدكتوراه لم أجده قيل لي أنّه رحل إلى نيوزيلندا ليندثر أثر ذلك الصديق الذّي نبت معي في حضن امرأة قيل لنا يوما أنّها فرنسية لتعلمنا دروسا في العشق..."[1]

–مالك: هو ابن "الدهماني" عم الشخصية البطلة، كانت تربطه به علاقة قوية تجاوزت حدود الصداقة، فهو يرى فيه الأخ الصديق، عاش في فرنسا الغربة أثّرت فيه كثيرا، هذه الشخصية تحمل الكثير من التناقضات.

البعد النفسي والاجتماعي :

في هذه السطور يحاول الراوي أن يكشف لنا بعض التفاصيل عن ابن عمه مالك فيبدأ حديثه بقوله : "عاش مالك في مدينة Molus الصغيرة...لم يجد حضنا يضمه إليه...يمكث إلى ساعات متأخرة من الليل يحدثني عن والده الذّي أثقله بتاريخ اليأس، لم يجلس معه مطلقا...لم يحدثه في طفولته ولم يكلمه عن شبابه الذّي أخذ يذبل ..."[2]

ثم يسرد "مالك" على "بوزيد" بعض المعانات التي يعيشها هناك فيقول على لسان السارد: "هنا يضطهدونك لأنّك عربي مسلم ...لأنّك لا تشبههم...لأنك أسمر وشعرك أسود...على الرغم أنّك مولود هنا وتحب المكان مثلهم لكنّهم يرفضوك بكل قواهم...حتى في الحب..رفضوا علاقتي بنانسي...لقد عيرتني بالحواجز التّي تسكنني...وحدها غيرتي الزائدة كانت سبب مشاكلي معها ..."[3]

ويستمر الراوي في سرد معانات "مالك" في الغربة التي أثرت على نفسيته بشكل كبير :

---

[1]– اليامين بن تومي، من قتل هذه الابتسامة؟ رواية، م.س، ص: 68.

[2]– المصدر نفسه، ص: 129.

[3]– المصدر نفسه، ص: 130.

"لم أشعر أبدا أنّني فرنسي ولا جزائري...أنا كائن بنصفين...إلى الآن مازلت أعاني من عقدة أني عربي...كلما قدمت على عمل رفضوني بحجة أنّي عربي مسلم...عشت عمرا من المعانات...حتى التي عشقتها رفضني والدها بحجة أنّني عربي مسلم..."[1]

-التونسي ولد الربيع: هو شخصية تاريخية ثورية كان أحد أصدقاء بوضياف والعم محمد أيام حرب التحرير، الذي كشف عن حقيقته لابن أخيه بوزيد، بعد أن كان يظن الناس أنه خائن لأنّه أحب "مدام سوزان".

البعد الفيزيولوجي : يبدأ الراوي بعرض بعض الملامح على لسان عمه محمد الذي يروي حكايته : "كان التونسي رجلا كبيرا يقرأ ويكتب الفرنسية بشكل أكثر من رائع, وكان شابا وسيما تقطر منه علامات النبل والشهامة كل من رآه لم يشك أنّه فرنسي...عيناه الزرقاوين وسحنته البيضاء..."[2]

البعد النفسي والاجتماعي :

يستهل الراوي حديثه عن هذه الشخصية بعد أن وقع شجار عنيف بين أبناء التونسي ولد الربيع وأبناء الساسي خلفاوي، واتهموه بأنه خائن يحاول السارد أن يستفسر من عمه عن الحقيقة هل هو خائن كما يقولون، يخبره عمه الحقيقة التي طالما اخفاها لأنه لم يكن هناك بد من الافصاح عنها فيبدأ بسرد حكايته على الراوي كما جاء على لسانه :

"جاءني أمر بأن أنقلك إلى الأوراسي ياتونسي...قالوا أنهم شاهدوه كثيرا مع مدام سوزان...ويحتمل أن يكون نقل أخبار عن المجاهدين..."[3]

---

[1]- اليامين بن تومي، من قتل هذه الابتسامة؟ رواية، م.س، ص: 134.

[2]- المصدر نفسه، ص : 151.

[3]- المصدر نفسه، ص: 154.

ويستمر الراوي بسرد قصة التونسي: "قال لي بجرأة : حين ذكرت هذا الكلام أمام والدي لم أشأ أن أكشف نفسي...لأنّني أريد أن يتسلل في القرية مثل هذا الكلام لينقله الوشاة إلى المستعمر فيعلموا أنّني أحب مدام سوزان وهي رفضتني حتى نطمس كارثة كادت تحل بمناضلة كبيرة يقال لها مدام سوزان..هل تعلم ياسي محمد بأن معظم الوشاة الذين تمّت تصفيتهم كشفتهم مدام سوزان..."[1]

وفي الأخير يكشف العم محمد حقيقة التونسي ولد الربيع لابن أخيه كما جاء على لسانه : "قال لي : من سيقتلني يا أخي..أبدا..أنت فقط دليلي إلى القيادة في الأوراس...هذا كله سيناريو مفبرك لضمان سلامتي وسلامة المناضلة سوزان.."[2]

ليوضح السبب أكثر في هذا المقطع : "انا مطلوب من القيادة العسكرية الفرنسية بسبب المقالات التي أكتبها في بيت الضابط فرنسوا بمعية المدام سوزان في الظاهر أنّني أشتغل عندهم أهتم بالحديقة ولكنّني أعمل مع المدام سوزان في غياب زوجها على تحرير مقالات نارية ضد المستعمر ننشرها باسم مستعار..."[3]

كما توجد شخصيات ليس لها دور كبير داخل السرد ما يصطلح عليه بالشخصيات الهامشية:

-العم الدهماني : هم عم الشخصية البطلة كان يعيش في فرنسا، لم يكن على علاقة جيدة به، له ابن وحيد هو "مالك" توفي هناك لم ترد تفاصيل عنه سوى يوم موته وإحضار جثمانه إلى أرض الوطن.

-زوليخة : ابنة عم الراوي "الصغير"، كان يعتبرها شهرزاد العائلة حيث كانت تجمع أبناء عمومتها لتسرد لهم كل ليلة حكاياتها الممتعة، وهي من روت قصة جنون والدها "الصغير".

---

[1]- اليامين بن تومي، من قتل هذه الابتسامة؟ رواية، م.س، ص: 157.

[2]- المصدر نفسه، ص: 158.

[3]- المصدر نفسه، ص: 158- 159.

–ليلي: هي أول امرأة حركت مشاعر "بوزيد" قبل أن يحب الكاهنة، تزوجت بحكم القبيلة التّي فرضت عليها رجل قالوا أنه غني، لكنها لم تستحمل هذا البدوي الذّي رفع عصاه ضدها، لم تتحمل الاهانة وقررت الانتحار تحت نخلتها التي تتربع على عرش منزلهم في بوسعادة.

– الربيع الصوشي: هو أخ الناشطة السياسية "حنان الصوشي" ، رجل أمن سابق، عثر الدكتور "بوزيد" على ملفه عندما كان يقلب احدى الملفات التي يدرسها، كان زير نساء، أتهم بجريمة قتل .

– رحمة بن دادي: احدى المريضات التي كانت تتعالج عند الدكتور "بوزيد"، جنّت بسبب تنكر ابنها لها، طردها من البيت وتركها وحيدة في العراء بايعاز من زوجته، وهاهو يحاول أن يكتب له الدكتور تقرير ليحجرعلى أملاكها، ولكن عندما جمعهما الطبيب في غرفة واحدة تملكه العطف وندم على فعلته وارتمى في حضنها وطلب منها السماح، ليزول الجنون عن "رحمة"، وترجع مع ابنها .

–مدام سوزان : هي شخصية أجنبية فرنسية كانت متزوجة من الضابط "فرنسوا"، أحبها التونسي ولد الربيع وبادلته الحب، تعتبر مناضلة كبيرة في صفوف جيش التحرير، لأنها عشقت الوطن الذّي ولدت فيه.

–الشخصية الارهابية : إحدى المرضى الذّين كان الدكتور "بوزيد" مشرفا على علاجه، كانت حالته صعبة، قتل والده بعد أن غرر به وانظم إلى الجماعات الارهابية وصعد الجبل، لم يفهم الاسلام جيدا حيثوا عملوا على غسل دماغه وجعله يدمن على المخدرات، ليعلن أنّه مجرد ضحية ويموت بعدها.

–العم الولهي : شخصية انتهازية هو والد الباي الذي لم يسجله في الدفتر العائلي، لكنه يعتبره مجرد وسيلة لكسب المال، ظلم أمه عندما كان شابا وهاهو يجني على ولده لأنه أنجبه بطريقة غير شرعية.

–زوجة العم علي: لم ترد تفاصيل كثيرة عنها سوى أنّها فتاة من المدينة أتت إلى الريف، حاولت التقرب من العائلة لكنّ محاولتها باءت بالفشل لأنهم اعتبروها من غيّرت العم "علي" ضدّهم، تبنّت ابن من الشؤون الاجتماعية بعد تأكيد الأطباء عقم زوجها.

–الأستاذ جواد : أستاذ اللغة العربية سوري الأصل، هو من قام بتدريس الشخصية البطلة أيام طفولته.

–الطبيب الروسي : هو من قام باجراء العملية لبوزيد أيام مرضه بالكيس المائي، كان طويل سمين، أحمر الوجه، أشقر الشعر.

–الدركي : هو من قام بتعذيب الشخصية البطلة واستنطاقها، كان عظيم الوجه والشاربين.

وهناك شخصيات اكتفى الراوي بذكر أسمائها ولم ترد تفاصيل عنها :

بيار: وهو شخصية أجنبية، يعتبر صديق الراوي.

سعاد: وهي ابنة عمة الباي وهي الفتاة التي أحبها.

حياة: الفتاة التي أحبها رياض ابن مدام ايفات.

نانسي: الفتاة التي أحبها مالك ابن عم بوزيد.

الزاوي الحلاق: يعتبر حلاق القرية.

الصبي هاني: هو الطفل من تبناه عمه علي.

ولد الطاش: حركي قاموا بتصفيته.

الضابط فرنسوا: ضبط فرنسي زوج مدام سوزان.

الضابطان: هما من قوات مكافحة الارهاب.

سي الربيع: والد التونسي.

وفي الأخير نخلص أن "اليامين بن تومي" استلهم شخصياته من واقعه المعيشي، هي شخصيات نموذجية تعبر عن واقع اجتماعي محض، تعبر عن تجربة ذاتية رسم من خلالها

ملامح مجتمع عاش فيه وتعايش معه، هذه الشخصيات أثرت فيه بشكل كبير حاول من خلالها إبراز جزء من ذاكرته وذاكرتها.

الخاتمة :

وختاما لبحثي وبعد كل هذه الدراسة والغوص في أغوار شخصيات رواية " من قتل هذه الابتسامة؟" لليامين بن تومي خلصت إلى مجموعة من النتائج :

-تعد الشخصية الروائية من أهم عناصر البنية السردية وتكمن أهمية الشخصية في حضورها الذّي يصنع تصادمات تمثل بدورها جوهر العمل الإبداعي.

-ثمة طريقتان لتقديم الشخصية الطريقة المباشرة والتّي يتيح فيها السارد للشخصية بالحديث عن نفسها والطريقة غير المباشرة والتي يرد فيها تقديم للشخصية على لسان السارد من طرف شخصية أخرى، و"بن تومي" في روايته "من قتل هذه الابتسامة؟" اعتمد الطريقة غير مباشرة في تقديم شخصياته حيث ورد تقديم لها على لسان السارد وقلّما تنازل لها للحديث عن نفسها.

-أمام تعدد معايير تصنيف الشخصيات، اخترت تصنيفات "فليب هامون"، فقد ربط النمذجة الشكلية بثلاثة أنواع من الدلائل، منها مايحيل على واقعية العالم الخارجي أو على مفهوم بنويّ، وقرن "ف.هامون" هذه الأنواع الثلاثة من الدّلائل بثلاث فئات من الشخصيات هي: فئة الشخصيات المرجعية، والشخصيات الواصلة، وفئة الشخصيات المكررة.

-فنجد حضور مكثف لفئة الشخصيات المرجعية أما الشخصيات الواصلة فنجد شخصية واحدة وهي البطلة، مع غياب فئة الشخصيات المكررة في الرواية.

-فوجدت أن الشخصية الواصلة التي تتمحور حولها الأحداث وفي فلكها تدور جميع الشخصيات وتتقاطع معها هي شخصية "الدكتور بوزيد" لأنه هو البطل والفاعل الأساس لأنه هو الشخصية الساردة في نفس الوقت، أمّا الشخصيات الثانوية فكانت غنية بالشخصيات المرجعيّة فهي تمثّل جوانب عامة من المجتمع في سياق العمل الروائي لأنّها تعرف حسم التناقضات بين مختلف القوى في الحياة الاجتماعية؛ فما الشخصية المرجعيّة غير تكثيف لسمات أخلاقية واجتماعية وتاريخية في مرحلة ما ومكان ما.

-واليامين بن تومي استوحى شخصياته من مجتمع وواقع عاش فيه وتعايش معه.

الخاتمة :

-إنّ أبعاد الشخصية مزيج مركب من ثلاث أبعاد أساسية هي :

البعد الفيزيولوجي(الجسمي) والنفسي والاجتماعي، وقد ركّز بن تومي عل البعدين الأخيرين (النفسي والاجتماعي) لأنه حرص على تقديم شخصياته من الداخل أكثر من حرصه على تقديمها من الخارج.

-تنوعت شخصيات بن تومي، فكانت شخصيات من العائلة والأصدقاء والجيران، فكان لايفصح عن الشخصية منذ الوهلة الأولى ولا عن أبعادها يتركها تكتشف مع تنامي السرد، يبدأ من حاضرها ليعود لماضيها.

-شخصيات بن تومي عايشت ألام ومآسي ووقعت تحت تأثير صدمات نفسية، إمّا بسبب عرف اجتماعي أو حكم جائر أو ظلم من شخص ما.

-الرواية جاءت بحبكة سردية مميّزة، تضع القارئ يتابع أحداثها للنهاية، ولايمكن له أن يضع في مخيلته نهاية القصة إلاّبعد قراءتها، فالكاتب عمل بأسلوب يجعل القارئ يرتبط بتفاصيل الرواية، كما حاول أن يجعل قصة الدكتور قصة يمكن اسقاطها على واقع حال الأسرة في وقتنا الراهن.

وفي الأخير أرجو أن أكون قد وفقت ولو بعض الشيء في هذا العمل المتواضع، الذّي يعود فيه الفضل الأكبر لله عزّ وجل.

فإن أصبت من الله وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان.

تمّ بحمد الله تعالى.

قائمة المصادر والمراجع :

المصادر:

1- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، دط، دت ط .

2- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تر عبد الحميد هنداوي، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2003،1م .

3- اليامين بن تومي، من قتل هذه الابتسامة؟ رواية، الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2011م.

-قائمة المراجع:

1- ابراهيم عباس، تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية، دراسة في بنية الشكل، المؤسسة الوطنية للإتصال، الجزائر، دط، 2002م.

2- أحمد رحيم كريم الخفاجي، المصطلح السردي في النقد، الأدب العربي الحديث، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2012م.

3-بان البنّا، البناء السردي في الرواية الاسلامية المعاصرة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2014م.

4- تزفيطان تودوروف، مفاهيم سردية، تر عبد الرحمان مزيان، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2005م.

5- جويدة حماس، بناء الشخصية في حكاية عبدو والجماجم والجبل لمصطفى فاسي، مقاربة في السرديات، منشورات الأوراس، الجزائر، دط،2007م.

6- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، الفضاء الزمن الشخصية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990م.

7- حميد الحميداني، بنية النص السردي، من منظور النقد الأدبي، المركزالثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991م.

8- شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، دار القصبة، الجزائر، دط، 2009م.

9- صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، ط2، 2009م.

10- صبحية عودة زعرب، غسان كنفاني جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلاوي، عمان، ط1، 2006م.

11- صلاح فضل، نظرية البنائية، في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998م.

12- عالية محمود صالح، البناء السردي في روايات إلياس خوري، دار أزمنة، عمان، ط1، 2005م.

13- عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب الأدبي و قضايا النص، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2006م.

14- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، دط، 1998م.

15- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات الكتابة الروائية، دار الغرب للنشر والتوزيع، دط، دت ط.

16- عفاف عبد المعطي، السرد بين الرواية المصرية والأمريكية، دراسة في واقعية القاع، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، دط،2007م.

17- عمر عيلان، في مناهج تحليل الخطاب السردي، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، دمشق، دط، 2008م.

18- فوزي الزمرلي، شعرية الرواية العربية، بحث في أشكال تأصيل الرواية العربية ودلالاتها، مؤسسة القدموس الثقافية، دمشق، دط،2007م.

19- فوزية العيوس الجابري، التحليل البنيوي للرواية العربية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2011م.

20- محمد بوعزة، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم، بيروت،ط1، 2010م.

21-محمد صابر عبيد وسوسن البياتي، جماليات التشكيل الروائي، دار الحوار للطباعة والنشر، اللاذقية، سوريا، دط، دت ط.

22- مها حسن قصراوي، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004م.

23- نادية بوشفرة، مباحث في السميائيات السردية، الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، الجزائر، دط، 2008م.

24- نضال محمد الشمالي، الرواية و التاريخ، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2006م.

25- نفلة حسن أحمد العزي، التحليل السميائي للفن الروائي، دار الكتب و الوثائق القومية، جامعة كركوك، دط، 2012م.

-المجلات:

1-جميلة قيسمون، الشخصية في القصة، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 13، جوان 2000.

2-علي عبد الرحمان فتاح،تقنيات بناء الشخصية في رواية ثرثرة فوق النيل،مجلة كلية الآداب العدد 102،جامعة صلاح الدين، كلية اللغات،قسم اللغة العربية.

2-نصيرة زوزو، سيمياء الشخصية في رواية حارسة الظلال لواسيني لعرج، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 09، جامعة محمّد خيضر، بسكرة، كلية الآداب والعلوم الإجتماعية والإنسانية، مارس 2006م.

فهرس المحتويات:

شكر وعرفان

مقدمة.....أ ب ج

المبحث الأول:الشخصية الروائية وكيفية بنائها.....5-23

تمهيد.....5-6

أولا: مفهوم الشخصية.....6 _7

أ- النظرة التقليدية للشخصية.....8 _9

ب-النظرة الجديدة للشخصية.....9 _13

ثانيا: تصنيفات الشخصيات الروائية.....14 _17

أ-الشخصيات تبعا للحدث.....14 _15

ب- التقسيم الشكلي للشخصيات.....15 _17

ثالثا: طرق تقديم الشخصية وعلاقتها بالمكونات السردية الأخرى.....18 _22

المبحث الثاني: مقاربة تطبيقية في رواية من قتل هذه الابتسامة؟ لليامين بن تومي 25-66

ملخص الرواية.....25 _27

أولا: قراءة في عتبات نص الرواية(العنوان، صورة الغلاف، الاهداء).....28 _34

ثانيا: دلالة الاسم الشخصي.....35-37

ثالثا: علاقة الشخصية بالمكونات السردية الأخرى.....

رابعا: أصناف الشخصيات الروائية وأبعادها.....38 _66

.أ-فئة الشخصيات الواصلة وأبعادها.....38 _43

ب-فئة الشخصيات المرجعية وأبعادها.....44
الخاتمة.....68 _69
قائمة المصادر والمراجع..... 71-73
الملحق.....75 _77
ملخص الرواية.....
فهرس الموضوعات.....79 _80